الرسول صلى الله عليه وسلم

فى رمضان

تأليف

أ. د. محمد سيد أحمد المسير

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت : ٠١٠١٤٣١١١٤ - ٣٦٨٤٦٠٤

الطبعة الثالثة

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

رقم الإيداع : ١٥٨٩١/ ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى..

أما بعـد...

فيسرنى أن أقدم هذا الكتاب «الرسول ﷺ فى رمضان» فى طبعته الثالثة داعيًا المولى سبحانه وتعالى أن ينفعنا بالعلم الشريف وسيرة الرسول العظيم..

وقد جاء الكتاب فى ستة مباحث هى:

- الرسول والأهلة.
- الرسول والصيام.
- الرسول والعبادة فى رمضان.
- الرسول وليلة القدر.
- مع القرآن فى شهر القرآن.
- الرسول والأعياد.

وقد حاولنا أن نقدم صورة صادقة وأمينة لحياة الرسول ﷺ فى هذا الشهر الكريم، كى نستنهض الهمم إلى علياء الخلق المحمدى، استجابة لقول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

القاهرة فى ١٦ من رجب سنة ١٤٢٠ هـ
٢٥/١٠/١٩٩٩م

أبو حذيفة

أ.د. محمد سيد أحمد المسير

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.. **أما بعـد:**

فإن سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ومهما حاول المؤرخون تحديد رسالته وأهداف دعوته فإنهم يتضاءلون أمام ذلك التحديد الإلهى فى قوله جل شأنه: **﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾** [الشورى: ٥٢] . وقوله عز اسمه: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾** [الأنفال: ٢٤]..

ومهما حاول الواصفون أن يبينوا ملامح الشخصية المحمدية وأخلاق سيرته العطرة فإنهم يتصاغرون أمام ذلك الوصف الإلهى فى قوله تعالى: **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾** [القلم: ٤]، وقوله سبحانه: **﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾** [النجم: ٢-٤]

ومهما حاول المادحون استخدام القول البديع والأسلوب الرائع والبيان الأخاذ فإنهم يتوارون أمام ذلك الفخر الإلهى فى قوله جل شأنه: **﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾** [الشرح: ٤]، وقوله تعالى: **﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾** [الطور: ٤٨].

وإن سيدنا محمداً ﷺ - من بين شخصيات العالم قديمًا وحديثًا- حقيقة تاريخية أجمع المؤرخون- أعداؤه وأحبابه- على معالم حياته وخصائص سيرته من مولده إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى..

وقد اهتم المسلمون بوجه خاص بكل ماصدر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير وعرفوا دقائق حياته فى ذاته وأسرته.. فى حضره وسفره.. فى سلمه وحربه.. فى مدخله ومخرجه، وقدموا للعالم صورة حياته الشريفة كاملة غير منقوصة بما تحمل من قيم ومبادئ ومثل هى الحق كله والخير بأجمعه والفضيلة فى أبهى صورها..

وقد تنوعت كتابة السيرة النبوية من السرد التاريخى، إلى فقه السيرة، إلى الشمائل المحمدية.. إلى غير ذلك، ولكنها جميعًا تنطلق من تأكيد القدوة الحسنة في هذا النبى الكريم، والتى سجلها القرآن المجيد فى قوله: **﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن**

كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب: ٢١]

ونحن نشرف بالكتابة عن فلسفة السيرة فى دراسة موضوعية تستنهض الهمم إلى علياء الخلق المحمدى وشرف الحياة النبوية.. ونقدم اليوم للقارئ الكريم أولى هذه السلسلة تحت عنوان «الرسول فى رمضان».

وقد كانت مصادرنا فى الكتاب هى القرآن المجيد وتفسيره، والسنة الصحيحة وشرحها واجتهادات العلماء الأئمة..

وقد حرصنا على أن يكون العرض مناسبًا، والكلمة هادفة، والتعبير ميسراً فى إطار موضوعية الدراسة وشرف الهدف الذى نسعى إليه وهو القدوة الحسنة فى حياة الرسول الكريم..

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

القاهرة فى ٣ من شعبان سنة ١٤٠٩ هـ
١١ من مارس ١٩٨٩م

أبو حذيفة
د. محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين
جامعة الأزهر

المبحث الأول

الرسول والأهلة

- الهلال فى اللغة.
- الشهر القمرى.
- سؤال عن الأهلة.
- مواقيت للناس والحج.
- استطلاع الهلال.

الهلال فى اللغة

الهلال : فى أول ليلة والثانية والثالثة، ثم هو قمر.

وأهلَّ الهلال : رؤى، واستهل: طلب رؤيته.

والإهلال : رفع الصوت عند رؤية الهلال، ثم استعمل لكل صوت، وتهلل وجه الرجل: تلألأ، وتهللت دموعه: سالت، وهلل الرجل تهليلا: قال: لا إله إلا الله.

وأهلَّ بالعمرة أو الحج : رفع صوته بالتلبية.

وأهلَّ بالتسمية على الذبيحة : ذكر اسم الله عليها.

وأهلَّ الصبى واستهل: إذا رفع صوته بالبكاء(١).

---

(١) راجع:

(أ) أساس البلاغة للزمخشرى، طبعة دار الفكر- بيروت.

(ب) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى، طبعة دار الفكر.

الشهر القمرى

السنة اثنا عشر شهرًا قمريًا.. وقد جاء ذلك فى القرآن العظيم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [التوبة: ٣٦].

والشهر القمرى لايزيد عن ثلاثين ليلة، ولا ينقص عن تسع وعشرين، وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا، وعقد الإبهام فى الثالثة، والشهر هكذا وهكذا وهكذا، يعنى تمام الثلاثين».

والمراد بقوله: (هكذا) الإشارة بأصابع يديه العشرة.

وذات يوم أقسم الرسول ﷺ أن لا يدخل على أزواجه شهرًا، قالت عائشة رضى الله عنها: «لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهنَّ دخل عليَّ رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرًا، وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهنَّ، فقال: إن الشهر تسع وعشرون.

أى أن هذا الشهر الذى وقعت فيه تلك الحادثة كان تسعًا وعشرين..

والمسلمون مطالبون باستطلاع الهلال عقب تسع وعشرين ليلة من كل شهر قمري، فإن شهدوا الهلال كان ذلك بدءًا للشهر التالى، وإلا أتموا الشهر الذى هم فيه ثلاثين.

ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ «الشهر تسع وعشرون، فإن رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فافطروا، فإن غمَّ عليكم فاقدروا له». وفى رواية: «فاقدروا ثلاثين».

لكن جاء حديث شريف قد يفهمه البعض فهمًا خاطئًا، الا وهو حديث أبى بكر رضى الله عنه – كما فى صحيح مسلم – قال: قال رسول الله ﷺ: «شهرا عيد لاينقصان: رمضان وذو الحجة». فقد يفهم البعض أن المراد أن هذين الشهرين (رمضان وذا الحجة) لا ينقصان عن ثلاثين ليلة.. وهذا غير صحيح، فالمسألة مرتبطة برؤية الهلال، فمتى تحققت دخل الشهر، سواء كان بعد تسع وعشرين أو ثلاثين.

ومعنى الحديث أن الأجر والثواب المرتب على الطاعة فى هذين الشهرين من الصيام والحج لا ينقص، سواء تم الشهر أو نقص فى لياليه.

وما يقوله العامة من أنه إذا تم أحد الشهرين ثلاثين كان الآخر تسعا وعشرين، فليس مرادًا من الحديث الشريف، وقد يكون واقعًا فى بعض السنوات.

سؤال عن الأهلة

أخرج أبو نعيم وابن عساكر أن معاذ بن جبل وثعلبة بن عتمة- وهما من الأنصار- قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ثم لايزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لايكون على حال واحدة.

فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

إن الصحابة رضى الله عنهم أرادوا من سؤالهم تفسير هذه الظاهرة الفلكية، واكتفى القرآن المجيد بأن أرشدهم إلى حكمتها ومنافعها، لأن هذا هو الأجدى لهم، وليس من شأن القرآن أن يقدم تفسيرات فلكية، فهو كتابة هداية، ويستطيع الناس بالبحث والدراسة أن يكتشفوا هذه الظواهر ويفسروها بجهدهم الخاص ووسائلهم المتاحة، والعرب يومئذ كانوا أمة أمية.

مواقيت للناس والحج

الأهلة معالم يعرف الناس بها معاملاتهم، وترتبط بها أركان الدين، وتتعلق بها احكام فقهية.

فالحج أشهر معلومات هى: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذى الحجة، والصيام فى شهر رمضان، والزكاة تجب بانقضاء الحول.

وعدة النساء فى الطلاق والوفاة تحدد بمواقيت خاصة، قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ [الطلاق: ٤]

وقال جل شأنه:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وجعل الله من السنة أربعة أشهر حرمًا – أى معظمة – يحرم فيها القتال والظلم، وهى: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، و رجب.. قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦].

لكن العرب فى جاهليتهم اخترعوا النسيء، وهو تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر لحاجتهم إلى شنِّ الغارات وطلب الثأر، فما كانوا يصبرون عن القتال هذه الفترة الزمنية من ذى القعدة إلي المحرم، فسوَّل لهم الشيطان أن يسموا المحرم صفرًا ليحل فيه القتال وينقلوا حرمة شهر المحرم إلى شهر صفر، ومنهم من كان يلتزم بحرمة ذلك سنة دون أخرى، ومنهم من رفض تخصيص الأشهر الأربعة بالتحريم وجعلها أربعة مطلقة فى السنة حسب أهوائهم.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٧].

وقد عرف في تاريخ العرب حروب الفجار بين كنانة وقيس، لأنهم فجروا فيها واستحلوا المحارم بينهم واقتتلوا فى الأشهر الحرم..

وأول فجار وقع فى أحد مواسم الحج بعكاظ، حين جلس بدر ابن معشر الغفارى، وجعل يتطاول على الناس ثم مد رجله وقال: أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز منى فليضربها بالسيف.

فوثب رجل من بنى نصر بن معاوية فضربه بالسيف على ركبته فقطعها، فقامت الحرب واشتعل أُوراها[1].

وتمضى الأعوام ويأتى العام العاشر من الهجرة فيعتدل الزمن ويعود الأمر إلى أصله، وتقع الشهور فى مواقيتها، ويقول الرسول ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان»..

وإنما أضاف الرسول الكريم رجب إلى قبيلة مضر لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه دون غيرهم.

(١) راجع كتاب (أيام العرب في الجاهلية) للأساتذة/ محمد أحمد جاد المولى وعلى البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الباز، ص ٣٢٢.

استطلاع الهلال

تكليف الله تعالى لعباده إنما هو بالمستطاع، والمراد شرعًا من استطلاع الهلال هو رؤيته بالأبصار وإخبار الناس به على وجه اليقين، وإن لفظ الهلال مأخوذ من الظهور ورفع الصوت بالإخبار برؤيته، يقال : أهل بالحج أو العمرة إذا رفع الصوت بالتلبية حين النية . فمجرد طلوع الهلال فى الأفق حيث لايراه أحد لا يتعلق به حكم شرعي، وبالتالى فلسنا مكلفين شرعًا باستخدام الآلات والأجهزة لكى نرى الهلال عن بعد بعيد . . وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: « لاتصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غمى عليكم فاقدروا له » .

ومعنى (غمى) أى حال بينكم وبينه غيم، واختلف العلماء فى معنى (فاقدروا له)- كما حكى الإمام النووى :

فقالت طائفة من العلماء : معناه ضيقوا له وقدروه تحت السحاب، وممن قال بهذا أحمد بن حنبل وغيره ممن يجوز صوم ليلة الغيم عن رمضان، وقال ابن سريج وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن قتيبة وآخرون : معناه : قدروه بحساب المنازل .

وذهب مالك والشافعى وأبو حنيفة وجمهور السلف والخلف إلى أن معناه : قدروا له تمام العدد ثلاثين يومًا، قال أهل اللغة : يقال : قدَّرت الشىء : أُقدِّره وأقدرُهُ وقدَرْته وأقدَرْته، بمعنى واحد، وهو من التقدير.

قال الخطابى : ومنه قول الله تعالى : ﴿ **فقدرنا فنعم القادرون** ﴾ .

واحتج الجمهور بالروايات المذكورة : ﴿ **فأكملوا العدة ثلاثين** ﴾، وهو تفسير لقوله « فاقدروا له » . ولهذا لم يجتمعا فى رواية، بل تارة يذكر هذا، وتارة يذكر هذا، ويؤكده الرواية السابقة : « فاقدروا له ثلاثين » .

قال المازرى : حمل جمهور الفقهاء قوله ﷺ : (فاقدروا له) على أن المراد إكمال العدة ثلاثين كما فسره فى حديث آخر، قالوا : ولايجوز أن يكون المراد حساب المنجمين، لأن الناس لو كلفوا به ضاق عليهم، لأنه لا يعرفه إلا أفراد، والشرع إنما يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم، والله أعلم »[1] .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج٧، ص ١٨٩ .

وليكن معلومًا أن هذا الاختلاف كله إنما هو في ليلة الغيم والسحب، أما حيث يكون الجو مكشوفًا وصحواً ثم لم ير الهلال فيجب إكمال العدة ثلاثين..

وحصول العلم بظهور الهلال يرجع إلى الحس والخبر.

فمن رأى الهلال وتأكد منه وكان منفرداً فجمهور العلماء على أنه يعمل برؤية نفسه..

وأما ثبوت الرؤية لدى عامة المسلمين فتحتاج إلى شهود جماعة يقع اليقين بخبرهم. وفي مذهب أبى حنيفة أنه إذا كانت السماء خالية من الموانع فلابد من رؤية جماعة كثيرين يقع بخبرهم العلم، وتقدير الكثرة منوط برأى الإمام أو نائبه، ولايلزم عدد معين على الراجح..

فيجب أن يوكل استطلاع الهلال لجماعة من أهل العلم والدين ويستشرفون المناطق المرتفعة، ولايترك أمر الرؤية لعوام الناس وأعراب البادية للشبهة المتمكنة فيهم، فإن الدين أجل من أن يؤخذ بشهادة من لايحسن الوضوء أو من لا يخشى الله حق خشيته.

ومن القضايا التى كثر الحديث فيها: هل لكل بلد رؤيته، أم أنه إذا ثبت الهلال فى بلد ثبت حكمه لباقى البلاد؟

وليس فى القضية نص صريح، وكل ما ورد أن أم الفضل بنت الحارث بعثت كريبًا إلى معاوية بالشام. قال- كما فى مسلم-: فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل عليَّ رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر فسألنى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال؟

فقلت: رأيناه ليلة الجمعة.

فقال: أنت رأيته؟

فقلت: نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية.

فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه.

فقلت: أو لا تكتفى برؤية معاوية وصيامه؟

فقال: لا، هكذا أمر رسول الله ﷺ.

وعلق الإمام النووى على هذا الحديث بقوله: والصحيح عند أصحابنا أن الرؤية لا

تعم الناس، بل تختص بمن قرب على مسافة لا تقصر فيها الصلاة.

وقيل: إن اتفق المطلع لزمهم.

وقيل: إن اتفق الإقليم وإلا فلا.

وقال بعض أصحابنا: (تعم الرؤية فى موضع جميع أهل الأرض، فعلى هذا نقول، وإنما لم يعمل ابن عباس بخبر كريب لأنه شهادة فلا تثبت بواحد، لكن ظاهر حديثه أنه لم يرده لهذا، وإنما رده لأن الرؤية لم يثبت حكمها فى حق البعيد)[١].

ونحن نرى أن المسألة- كما هو واضح- ليس فيها قاطع شرعى، وأصبحت الدولة الآن مترامية الأطراف، ومن المعلوم فقهًا أن حكم الحاكم يرفع الخلاف، فمتى ثبت الهلال فى بلد إسلامى ثبت حكمه لباقى البلاد الإسلامية التى تشترك معها فى جزء من الليل طالما نقل الخبر فى حينه على جهة اليقين.

ونقترح إقامة مرصد إسلامى فى مكة المكرمة يتولى تحديد الشهور القمرية وإبلاغ كافة المسئولين فى العالم الإسلامى لحظة الثبوت، وهذا أمر ميسور الآن مع تقدم الاتصالات السلكية واللاسلكية.

وبالنسبة للأقليات الإسلامية فى مناطق لا تشترك مع العالم الإسلامى فى جزء من الليل يكون لها رؤية خاصة تتولاها المراكز الإسلامية الموجودة فى هذه البلاد..

ومن المعلوم شرعًا أن الصوم يجب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طال النهار أو قصر، فحيث يوجد الليل والنهارفى مدى الأربع والعشرين ساعة يجب الالتزام بالآية الكريمة: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ [البقرة: ١٨٧]

لكن إذا كانت الشمس لا تشرق إلا بعد شهور أو لا تغرب إلا بعد شهور، فيلزم حينئذ قياس الليل والنهار على أقرب البلاد إلى هذه المناطق.



(١) صحيح مسلم بشرح النووى، ج٧،ص ١٩٧.

المبحث الثاني

الرسول والصيام

- استقبال رمضان.
- أخلاق الصائم.
- الفطور والسحور.
- المعاشرة الزوجية.
- الوصال فى الصوم.
- النيابة فى الصوم.
- مشاركة الأطفال.
- الفطر فى رمضان.
- الصيام فى غير رمضان.
- أيام يستحب صيامها.
- أيام يمتنع صيامها.
- صوم الكفارات.

الرسول واستقبال رمضان

يحق لنا أن نرهف السمع إلى نداء رسول الله ﷺ قبيل رمضان، حتى نتهيأ لذلك الشهر الكريم، ونتعرف على معالم عظمة هذا الشهر، ونقف على ما أعده الله لعباده الصائمين.

ففى حديث رواه ابن خزيمة والبيهقى وابن حيان عن سلمان رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك. شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، جعل الله تعالى صيامه فريضة وقيام ليله تطوعًا، من تقرّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء.

قالوا يا رسول الله، أليس كلنا لايجد ما يفطر الصائم؟!

فقال رسول الله ﷺ: يعطى الله عز وجل هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن.

وهذا شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فمن خفف عن مملوكه فيه غفر الله تعالى له وأعتقه من النار، استكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم عز وجل، وخصلتين لا غنى لكم عنهما، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم عز وجل فشهادة أن لا إله إلا الله وأن تستغفروه، وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله تعالى الجنة وتعوذون به من النار.. ومن سقى صائمًا سقاه الله تعالى من حوضى شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة).

أظن هذه الخطبة الجامعة لا تحتاج إلى تعليق، فهى واضحة المعنى، جلية الأسلوب، استوعبت كل ما يمكن أن يوجه إلى المسلمين لاستقبال شهر رمضان.. والتهيؤ لهذه العبادة الروحية السامية..

والصيام أحد أركان الإسلام، وقد خصه الله تعالى بإضافته إليه، فقال الرسول ﷺ –

كما فى الحديث المتفق عليه- قال الله عز وجل: (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به).

وفى توجيه هذه الإضافة أقوال للعلماء، منها أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به فلم يعظم الكفار فى عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة وغير ذلك.

وقيل: لأن الصوم بعيد عن الرياء، لا يطلع عليه إلا علام الغيوب، وكلما كانت العبادة أخفى كان الثواب أجزل.

وقيل: لأن فى الصيام تشبهًا بالملأ الأعلى حيث يستغنى الإنسان عن الطعام والشراب والشهوة فترة زمنية حددها الله تعالى بقوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ولكل هذه المعانى وغيرها ضاعف الله تعالى ثواب الصائمين، والكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء.. وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى، للصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك ».

الرسول ﷺ وأخلاق الصيام

علمنا رسول الله ﷺ أخلاق الصائمين، وبين لنا عظم فضل رمضان، وحثنا على أبواب الخير التى تتجلى فى هذا الشهر الكريم..

وقد حدثتنا كتب الصحاح أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين».

وهذا الحديث الشريف إشارة إلى مسالك البر وفضائل النفس التى تكتسب فى هذه الأيام المباركة، فقد حظى هذا الشهر بألوان من الطاعات والخيرات لا تقع مجتمعة إلا فيه، وبالتالى فإن الناس ينكفون عن كثير من المخالفات.

والصيام يحقق الخشية من الله، والرقابة الذاتية التى تجعل المسلم يدع طعامه وشرابه من أجل الله.. وتلك الفضيلة هى المقصودة من وصية رسول الله ﷺ للشباب حين قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

فهذه الوصية الكريمة ليس مقصوداً بها القضاء على الغريزة، فذلك غير وارد، وإنما هى الحكمة السامية لمدرسة الصيام، حيث يتعلم المسلم عزيمة الرشد ويقظة الضمير.

كذلك فإن من شأن الصائمين أن يتخلقوا بأخلاق الله، ويتأدبوا بأدب رسوله، فيكون الوقار والسكينة شعارهم، فلا تصدر إلا الكلمة الطيبة والنصيحة الصادقة، ولا تكن النفوس إلا الألفة والمحبة والصفاء..

ومن هنا نفهم قول رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه».

ونفهم أيضًا توجيهه عليه الصلاة والسلام لمعشر الصائمين: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم».

وفى هذا إشارة إلى حسن المعاشرة، وإصلاح ذات البين، وتأليف القلوب، وحسن الاعتذار.

والمراد بقول : (إنى امرؤ صائم) أن يقولها الصائم بلسانه جهراً ليسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالبًا، أو يقولها فى نفسه ليمنعها من مقابلة الشر بمثله، ويصون صومه عن المكدرات .

وليكن معلومًا أن أخلاق الصائم ليست وقفًا على شهر رمضان، وإنما هى مطلوبة فى كل وقت وحين، ولكنها تتأكد فى رمضان وبصيام رمضان .

هذا وقد قسم العلماء الصوم إلى مراتب التماسًا من هدى رسول الله ﷺ ، فقال الإمام الغزالى فى الإحياء(١) :

« اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص . .

أما صوم العموم : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

وأما صوم خصوص الخصوص : فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر، بالفكر فى الدنيا إلا دنيا تراد للدين، فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدينا حتى قال أرباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقله اليقين برزقه الموعود، وهذه هى مرتبة الأنبياء والصديقين والمقربين، ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ولكن فى تحقيقها عملا ، فإنه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل، وانصراف عن غير الله سبحانه، وتلبس بمعنى قوله عز وجل : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

ولكل هذه المعانى وغيرها خص الله عباده الصائمين المحققين لمثل هذه الأخلاق بخصوصية كبرى عبر عنها الرسول ﷺ ، كما جاء فى صحيح مسلم : « إن فى الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لايدخل معهم أحد غيرهم، يقال أين الصائمون . فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » .

---

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٣٥ ط دار إحياء الكتب العربية .

الرسول فى فطوره وسحوره

فى حديث رواه الترمذى والنسائى عن أنس رضى الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى، فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم يكن حسا حسوات من ماء». وورد فى عدد التمرات أنها ثلاث..

وهذا أدب نقتدى فيه بالرسول الكريم، وهو تعجيل الفطر عقب تحقق غروب الشمس، فذلك أنشط للصائم، لأن الإنسان بعد أداء صيام اليوم قد يعتريه فتور لا يتناسب معه أداء صلاة المغرب على المخمصة، وأيضًا فإن استشعار المسلم بأداء الصوم يقتضى أن يعلم بانتهاء الوقت المحدد وأن يخرج من الصوم لكى يفرح بتوفيق الله له، وهذا الخروج من الصوم لايتحقق إلا بتناول الطعام الذى كان محظوراً عليه..

ويتحقق تعجيل الفطر بتناول أى شيء يقطع الصوم، كتمرات، أو بعض الماء، ثم يصلى بالمغرب، وبعدها يتناول طعامه بالكامل.

قال ابن القيم: «وهذا من كمال شفقته ﷺ على أمته ونصحهم، فإن إعطاء الطبيعة الشئ الحلو مع خلو المعدة أدعى إلى قبوله وانتفاع القوى به ولاسيما القوة الباصرة فإنها تقوى به، وحلاوة المدينة التمر، ومرباهم عليه، وهو عندهم قوت وأدم، ورطبه فاكهة، وأما الماء فإن الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس، فإن رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده، ولهذا كان الأولى بالظمآن الجائع أن يبدأ قبل الأكل بشرب قليل من الماء مع ما فى التمر والماء من الخاصية التى لها تأثير فى صلاح القلب لايعلمها إلا أطباء القلوب»(١).

هذا ولا بأس بأن يتم الإنسان فطره كاملا ثم يصلى المغرب إذا كان فى حاجة إلى الطعام ويشق عليه إحسان الصلاة مع انتظار الطعام، بل إن الأولى فى مثل هذه الحال تناول الطعام. وقد أخرج ابن أبى شيبة عن أبى هريرة وابن عباس أنهما كانا يأكلان طعامًا وفى التنور شواء، فأراد المؤذن أن يقيم الصلاة، فقال له ابن عباس: لا تعجل، لانقوم وفى أنفسنا منه شيء، وفى رواية: «لئلا يعرض لنا فى صلاتنا».

وهذا هو فقه حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه: «إذا قُرِّب العشاء وحضرت الصلاة فابدأوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب، ولا تعجلوا عن عشائكم».

---

(١) زاد المعاد، ج١، صـ١٦٠، ط المطبعة المصرية.

وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: « لاصلاة بحضرة الطعام » .

وإذا كان من أدب الرسول الكريم تعجيل الفطر فإن تأخير السحور هدى نبوى كريم، وفى صحيح الحديث: « تسحروا فإن فى السحور بركة » .

وفى الحديث المتفق عليه: « لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » .

زاد الإمام أحمد: « وأخروا السحور » .

والبركة فى تأخير السحور ظاهرة، لأنه يقوى على الصيام ويخفف المشقة، ولأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء فى ذلك الوقت الشريف، وقت تنزل الرحمات والنفحات، وفيه التأهب لصلاة الفجر.

وقال زيد بن ثابت كما أخرجه مسلم: « تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة.. فسئل: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية » .

وليكن معلوماً أن الليل كله من غروب الشمس إلى طلوع الفجر محل لتناول الطعام والشراب وكل شيء.. فالله تعالى قد جعل للصوم بدءاً ونهاية، فهو يبدأ بطلوع الفجر وينتهى بغروب الشمس، قال تعالى: ﴿ **فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والمراد بالخيط الأبيض: ضوء الصباح، والمراد بالخيط الأسود: سواد الليل.

وعلى هذا فشأن المسلم أن يتحرى معرفة طرفى النهار يقيناً أوظناً غالباً حتى تصح عبادته، ويترتب على ذلك أن من تسحر ظاناً بقاء الليل ثم تبين له طلوع الفجر وأن سحوره وقع نهاراً وجب عليه أن يقضى يوماً آخر بعد رمضان، وعليه أيضاً أن يمسك بقية يومه، ولا يحل له تناول الطعام خلال النهار بعد ذلك، لأن لشهر رمضان حرمة.

وأيضاً فمن افطر ظاناً أن النهار قد انقضى وأن غروب الشمس قد تحقق ثم ظهر له خلاف ذلك، وجب عليه أن يقضى يوماً آخر بعد شهر رمضان..

وهو كله بخلاف الناسى الذى أكل أو شرب ناسياً فى نهار رمضان، فإن صومه صحيح ولا قضاء عليه، لقول الرسول الكريم: « من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه »[1].

---

(١) جمهور العلماء لا يفرقون بين الفرض والنفل فى الأكل ناسياً ويفسرون الأمر بإتمام الصوم اى صحتة —ويرى الإمام مالك بطلان الصوم ووجوب القضاء ويحمل الحديث على رفع الإثم، وبعض المالكية يفرق بين الفرض والنفل فيصحح صيام الفرض مع الأكل ناسياً ويبطل صيام النفل.

المعاشرة الزوجية فى رمضان

أخرج مسلم فى صحيحه أن أبا يونس مولى عائشة رضى الله عنها أخبر عنها أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ يستفتيه وهى تسمع من وراء الباب، فقال: يا رسول الله، تدركنى الصلاة وأنا جنب، أفأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: وأنا تدركنى الصلاة وأنا جنب فأصوم، فقال الرجل: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال عليه الصلاة والسلام: والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى.

هذا الحوار مع الرسول الكريم يبين حكمًا شرعيًا يتعلق بمن أدركه الفجر فى رمضان وهو جنب لم يغتسل.. ما حكمه؟

من المعلوم فقهًا أن الصيام فى مفهومه الشرعى هو الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله سبحانه وتعالى، ولا يشترط له الطهارة الفعلية، وقد أباح الله تعالى الأكل والشرب والمعاشرة الزوجة إلى طلوع الفجر فقال: ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

ومعلوم أنه إذا جاز الجماع إلى طلوع الفجر لزم منه أن يصبح الإنسان جنبًا ويصح صومه لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾.

والحديث الذى معنا يؤكد هذه الحقيقة، وعندما حاول الرجل أن يتعلل ويقول: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.. بين له الرسول ﷺ أن مواقف الالتزام أمام شرع الله عامة بلا تفرقة، وأن الرسول الكريم أحرى الناس بهذا الالتزام وأكثرهم دقة فى تحرى الحلال والحرام.

وقد وردت روايات عن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما بهذه الحقيقة، فقالتا: إن كان رسول الله ﷺ ليصبح جنبًا من جماع غير احتلام فى رمضان ثم يصوم.

فالغسل من الجنابة إنما هو من أجل صلاة الفجر وليس له علاقة بالصوم، والمهم فقط هو أن تنتهى المعاشرة الزوجية قبل دخول وقت الفجر.

ويلحق بذلك الحكم من انقطع دم حيضها أو نفاسها فى الليل ثم طلع عليها الفجر قبل أن تغتسل صح الصوم حينئذ ووجب إتمامه، لأن المانع الشرعى قد زال قبل الفجر،

وغسلها بعد ذلك إنما هو من أجل الصلاة .

ومما يجب التنبيه عليه أن المعاشرة الزوجية فى نهار رمضان عن عمد تعد جريمة وكبيرة من الكبائر ويترتب عليها إفساد الصوم وكفارة مغلظة هى صيام شهرين متتابعين عن ذلك اليوم الذى أفطره بالمعاشرة، فإن عجز عن الصيام لعذر ظاهر وجب عليه إطعام ستين مسكينًا، لكل مسكين نصف قدح من غالب قوت البلد .. ثم يصوم يومًا آخر بدل اليوم الذى أفسده ..

وهذه الكفارة خاصة بالزوج فقط، أما الزوجة فعليها الصوم بلا كفارة، لأن الكفارة غرم مالى يتعلق بالجماع كالمهر، فلا تجب على المرأة ..

وتحكى كتب الصحاح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: ما أهلكك؟ قال الرجل: وقعت على امرأتى فى رمضان، قال عليه الصلاة والسلام: هل تجد ما تعتق رقبة؟ قال الرجل: لا، قال عليه الصلاة والسلام: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال الرجل: لا . قال عليه الصلاة والسلام: فهل تجد ما تطعم ستين مسكينًا؟ قال الرجل: لا . ثم جلس، فأتى النبى ﷺ بعرق فيه تمر (١) فقال الرسول الكريم: تصدق بهذا .

قال الرجل: على أفقر منا، فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا، أى ليس هناك فى المدينة أحد أفقر من هذا الرجل .

فضحك النبى ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: اذهب فأطعمه أهلك .

وقد اختلف العلماء فيمن عجز عن الخصال الثلاث « العتق والصيام والإطعام » فذهب بعضهم إلى أنه لا شىء عليه ولا يستقر فى ذمته شىء حتى ولو استطاع بعد ذلك، لأن العبرة بوقت التكليف . وقال آخرون: إن الكفارة ثابتة فى ذمته لا تسقط إلى الموت أو اليسار، أيهما أقرب قياسًا على سائر الحقوق والديون .

ومما يتعلق بموضوع المعاشرة الزوجية مسألة القبلة، وقد ثبت فى صحيح الحديث أن النبى ﷺ كان يقبل إحدى نسائه وهو صائم، ولا خلاف بين العلماء فى أنها لا تبطل الصوم ما لم ينزل، واحتجوا لذلك بحديث مشهور فى السنن، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: أرأيت لو تمضمضت .

ومعنى الحديث: أن المضمضة مقدمة الشرب وهى لا تفطر، فكذلك القبلة مقدمة الجماع وهى لا تفطر ..

وقد جاء فى بعض الروايات عن عائشة رضى الله عنها: « وأيكم يملك أربه كما كان

---

(١) العرق بفتح العين والراء على الأصح: قفة أو مكتل يسع خمسة عشر صاعًا .

رسول الله ﷺ يملك أربه»، وقد فهم العلماء من معنى كلام أم المؤمنين أنه ينبغى الاحتراز عن القبلة، لأن الرسول يملك نفسه ويأمن الوقوع فى قبلة يتولد عنها إنزال أو شهوة ونحن لا نملك ذلك.

ومن هنا فالقبلة جائزة ما لم تحرك ساكنًا، كأن تكون قبلة وداع أو استقبال أو شفقة، فإن أثرت فى النفس وأثارت فقد دخلت فى المحظورات وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

فإن صحبها إنزال فقد بطل الصوم، وعليه أن يمسك بقية يومه لحرمة الوقت، ثم يقضى يومًا آخر بعد شهر رمضان. وشأن المسلم الصادق أن يتم عبادته ولا يحبط عمله، وإن إفطار يوم من رمضان بغير عذر شرعى لا يعدله صيام الدهر..

وهنا تنبيه للمرأة المسلمة، فالصوم فترة زمنية تتميز بالصفاء الروحى والتخفف عن المطالب المادية، وقد أقسم الرسول ﷺ على أن تغير رائحة الفم لدى الصائم تكون نكهته فى الآخرة أطيب من المسك فقال: «والذى نفس محمد بيده لخلفة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

وعلى هذا فإن المرأة المسلمة التى تدع ضروريات الحياة من مأكل ومشرب طوال نهار رمضان امتثالا للأمر الإلهى لا تجد حرجًا أو ضيقًا نفسيًا فى أن تدع المغالاة فى التجمل أو استعمال المساحيق، مراعاة لأدب الصوم وحرمة الوقت واستشعاراً لجلال الفريضة.

وليكن معلومًا أن زينة المرأة وتجملها إنما يكون لزوجها وأمام المحارم فقط، ولا يجوز شرعًا أن تتبرّج وتبدى زينتها أمام الأجانب، فإن ذلك فسق وإثم كبير.. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فالمرأة المحجبة تفرض احترامها على الناس بوقارها وسكينتها، وتعرف بأنها عفيفة فلا يتطلع إليها الفساق.

والمرأة التى تكشف عما يجب أن يستتر من بدنها أمام الرجال الأجانب ترتكب معصية وإثمًا مبينًا، وتتضاعف هذه المعصية إذا وقعت فى شهر رمضان المعظم..

ومن هنا نفهم قول رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه».

فالزور قولا وعملا يشمل المعاصى كلها..

الوصال فى الصوم

الوصال هو صوم يومين فأكثر من غير فطر، وقد نهى عنه الإسلام، لأن شرع الله يسر، وكان من هدى رسول الله ﷺ تعجيل الفطر وتأخير السحور، ليكون ذلك عونا للصائم وأقوى له على أداء العبادة بنشاط، وحتى تتواصل مسيرة الحياة، كسبًا للرزق، وضربًا فى الأرض، وابتغاء من فضل الله.

ولكن رسول لله ﷺ واصل فى بعض صيامه، فاقتدى به الصحابة رضى الله عنهم، فنهاهم المصطفى الكريم عن الاقتداء به فى الوصال، لأنه مقام يصعب الالتزام به ويشق على الناس، وكان رسول الله ﷺ رفيقًا بأمته، رحيمًا بهم..

ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ واصل فى رمضان، فواصل الناس، فنهاهم، فقيل له: أنت تواصل. قال: « إنى لست مثلكم، إنى أُطعم وأُسقى ».

وفى رواية: « وأيكم مثلى، إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى ».

والمعنى أن الله تعالى يجعل له قوة ومقدرة على الوصال كقوة الطاعم الشارب، وليس على ظاهره من أنه ﷺ يأكل ويشرب وإلا ما كان مواصلا..

وحين لم يتراجع المسلمون عن الوصال نهاهم الرسول بتجربة عملية ففى صحيح مسلم: « فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا ثم رأوا الهلال، فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم، كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا ».

وفى رواية: « أما والله لو تمادّ لى الشهر لواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم ».

والمعنى أن الرسول الكريم واصل بهم يومين فى آخر الشهر ثم ظهر الهلال وانتهى صوم رمضان، فأخبرهم الرسول الكريم أنه أراد أن يثبت لهم عمليا المفسدة المترتبة على الوصال وهى الملل من العبادة والتعرض للتقصير فى بعض المأمورات الشرعية والواجبات الاجتماعية.

والمراد بالمتعمقين: المشتددون فى الأمور، المجاوزون للحدود، فالعبادة إنما تكون على قدر وسع الإنسان، ومن غير إرهاق يعقبه ملل، ولذا جاء فى بعض روايات أحاديث النهى عن الوصال: « فاكلفوا من العمل ما تطيقون » وعلى هذا فالوصال من الخصائص التى أبيحت للرسول ﷺ وحرمت على أمته..

النيابة فى الصوم

الصوم مرتبط بالقدرة على الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات، فمن عجز عن الصوم عجزاً مؤقتًا فله الفطر وعليه القضاء عند زوال العذر، وإن كان العجز ملازمًا فله الفطر وعليه فدية إطعام مسكين.

ولا يجوز الصيام عن الحى مهما كان عذره، لكن من مات وعليه صيام واجب من رمضان أو من نذر أو غير ذلك فيمكن الصيام عنه لأحاديث صحيحة وردت فى هذا الشأن..

فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « من مات وعليه صيام صام عنه وليه ».

والمراد بالولى القريب، سواء كان وارثًا أو غير وارث، ولو صام عنه أجنبى بإذن الولى جاز، وإلا فلا يجزئ.

والولى مخير بين الصيام والإطعام، ولا يجب عليه الصوم..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمى ماتت وعليها صوم شهر. فقال: أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟ قالت: نعم. قال: فدين الله أحق بالقضاء ».

وفى رواية: « فصومى عن أمك ».

وقد تعدد السؤال فى هذه المسألة، فتارة كان السائل رجلا، وتارة كان امرأة، وتارة عن شهر، وتارة عن شهرين، وتارة صوم شهر، وتارة صوم نذر.. وفى كل هذه الحالات كان جواب الرسول ﷺ بصحة صيام الحى عن الميت، وأنه يسقط ما وجب فى ذمة الميت..

وقد امتد هذا الحكم إلى الحج، فيجوز الحج عن الميت، وكذا عن الحى العاجز عجزاً كليًا..

وجاءت أحاديث كثيرة، منها ما رواه مسلم عن عبدالله بن بريدة عن أبيه رضى الله

عنه قال: بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إنى تصدّقت على أمى بجارية وإنها ماتت؟

قال: وجب أجرك وردها عليك الميراث.

قالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صوم شهر، افأصوم عنها؟

قال: صومى عنها. قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟

قال: حجى عنها.

مشاركة الأطفال فى العبادات

التكليف الشرعى مرتبط بالعقل والبلوغ، فلا إلزام ولا مسئولية على من فقد عقله ولا على من هو دون البلوغ.. وقد جاء فى صحيح الحديث أن الرسول ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبى حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق».

لكن من الأدب الإسلامى أن يشارك الأطفال فى الصلاة والصيام وسائر العبادات، حتى يشبوا على تقوى الله ورضوانه..

وقد قال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين».

ولا خلاف بين العلماء فى جواز الحج بالصبيان، وقد جاء فى صحيح الحديث أن امرأة رفعت إلى رسول الله ﷺ صبيا وقالت: يا رسول الله، ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر.

وبالنسبة للصيام فإن الأمر موقوف على مدى تحمل الطفل، فإن أطاقه وتحمله ولو مع يسير مشقة فلا بأس به، بل هو من أدب التربية الإسلامية، حتى يستشعر الطفل معانى الولاء لله ورسوله. والالتزام بالعبادات، ويتعود على تحمل المشاق، ويتهيأ لتبعات الحياة فى سرائها وضرائها..

وقد ثبت فى الصحيح أن الصحابة رضوان الله عليهم عندما كانوا يصومون عاشوراء قبل فرضية رمضان كانوا يصوّمون صبيانهم الصغار ويهيئون لهم بعض اللعب ليشغلوهم بها عن تذكر الطعام..

ومن حق الأبناء على آبائهم: حسن تربيتهم، وإعدادهم للحياة الفاضلة بالقدوة والسلوك الحسن، والتوجيه إلى معالم الرشد وقيم الأخلاق..

وواجب الآباء والأمهات أن يهتموا بشعائر الإسلام كلها، ويلتزموا بها التزامًا صادقا وأمينًا، ويدعوا أبناءهم لمشاركتهم هذه المناسبات الطيبة الكريمة.

ولهذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نجعل من صلاتنا فى بيوتنا، وقال العلماء: إن الأفضل فى صلاة النافلة أن تؤدى فى البيت، حتى يشب الأبناء على صورة الخير والفضيلة.

كذلك أوصانا المصطفى الكريم أن نقرأ القرآن فى بيوتنا، كى تحفها الملائكة، وتتنزل فيها الرحمة، وينشأ الأطفال فى رياض القرآن العظيم..

الرسول والفطر فى رمضان

حدثتنا كتب الصحاح عن أبى سعيد الخدرى قال: « سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام، فنزلنا منزلا، فقال رسول الله ﷺ: إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم، فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلا آخر فقال: إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا، وكانت عزمة فأفطرنا ».

هكذا يكون شرع الله، فدين الله يسر ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج:٧٨].

وليس المقصود من الصيام العسر على الناس والمشقة، بل هو مدرسة للتهذيب والأخلاق وحرمان مشروع لمعان سامية.

والرسول هو الإنسان الكامل، وهو كما وصفه ربه تبارك وتعالى: ﴿ **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة:١٢٨]، فعندما وجد الناس فى مشقة وهم مقبلون على معركة أفتى لهم بالفطر، بل إنه بدأ بنفسه، فدعا بإناء فيه شراب فشربه نهاراً ليراه الناس.

وعندما أخبر عليه الصلاة والسلام بعد ذلك أن بعض الناس قد صام قال: أولئك العصاة.. أولئك العصاة..!!

لأن القضية ليست تعذيب نفس وإنما هى امتثال أمر، والصيام فضيلة نفس واحدة، والفطر فى هذه المواقع أقوى على المواجهة مع الأعداء فيكون منفعة للنفس وللغير.. وهذا هو ما عبرت عنه الرواية الصحيحة الأخرى عن أنس قال: كنا مع النبى ﷺ فى السفر، فمنا الصائم ومنا المفطر، فنزلنا منزلا فى يوم حار، أكثرنا ظلا صاحب الكساء، ومنا من يتقى الشمس بيده، قال: فسقط الصوّام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب(١)، فقال رسول الله ﷺ: ذهب المفطرون بالأجر».

ومن هنا ثبت الحكم العام وهو جواز الفطر فى السفر، وقد نص عليه القرآن المجيد فى قوله تعالى: ﴿ **فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾.

---

(١) الركاب: الإبل.

وهذا الجواز العام هو الأصل، وقد تأدب الصحابة بهذا الأدب، فكانوا يسافرون فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم، فطالما أن الأمر لا يترتب عليه ضياع مصلحة، فمن شاء صام ومن شاء أفطر وعليه القضاء بعد ذلك.

وحيث إن شرع الله منوط بمصلحة الإنسان ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾، فالأعذار المبيحة للفطر فى رمضان أنواع:

منها أعذار شرعية لا يصح معها صوم ولا ينعقد، وذلك بالنسبة للحائض والنفساء فيحرم عليهما الصيام ويجب عليهما عدة من أيام آخر بعد انقضاء شهر رمضان.. قالت عائشة رضى الله عنها، كما فى الصحيح: كان يصيبنا ذلك -أى الحيض- فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة.

وهناك أعذار متروكة لدين الشخص وخشيته من الله، وهى العجز عن الصيام لمرض أو حمل أو رضاع، فهؤلاء إن خافوا الضرر، وتحققوا من المشقة الشديدة، وأخبرهم بذلك طبيب مسلم عدل ثقة -جاز لهم الفطر وعليهم قضاء أيام أخر بعد شفائهم وانقطاع الأعذار التى أباحت لهم الفطر.

أما كبار السن الذين أرهقتهم الشيخوخة والمرضى بمرض مزمن ملازم لا يرجى شفاؤه فيجوز لهم الفطر ولا قضاء عليهم، وإنما الواجب حينئذ هو إطعام مسكين.. وهذه الفدية قدرها العلماء بنصف قدح من غالب قوت البلد.

وقياسًا على ما تقدم فإن من غلبه الجوع والعطش وخشى على نفسه، له حكم المريض فى جواز الفطر أو وجوبه تبعًا للحالة التى هو فيها.. كذلك من تقتضيهم ظروف العمل الوقوف أمام الأفران المرتفعة الحرارة، ويعملون أعمالا لا يمكن أداؤها وهم صائمون، ولا يمكن تأجيلها أو تخفيفها لمصلحة عامة أو خاصة، جاز لهم الفطر وعليهم القضاء من أيام أخر، ولا تسقط عنهم الفريضة، بل هى فى ذمتهم حتى يؤدوها فى الوقت المناسب قبل حلول رمضان التالى..

وكل إنسان أدرى بمصلحته وبما ينفعه فى دينه ودنياه.

وكل إنسان لديه حاسة يمكن بها أن يتعرف عذره.

والله لا تخفى عليه خافية.

صيام الرسول فى غير رمضان

الصيام عبادة فيها نبل وسمو إنسانى وتشبه بالملأ الأعلى، وشأن المسلم أن يجعل من أيام دهره أوقاتًا للصيام، اقتداء برسول الله ﷺ .

والظاهرة العامة لصيام الرسول الكريم أنه لم يصم شهرًا كاملاً إلا رمضان، ولم يكن يخلى شهرا من صيام، وقد سئلت عائشة رضى الله عنها -كما فى مسلم- : أكان رسول الله ﷺ يصوم شهرًا كله؟ قالت : ما علمته صام شهرًا كله إلا رمضان، ولا أفطره كله حتى يصوم منه حتى مضى لسبيله ﷺ . .

والظاهرة العامة الأخرى أنه ﷺ كان يكثر من الصيام على الإطلاق بلا تقيد بزمن معين، حتى قال ابن عباس رضى الله عنهما -كما فى مسلم- : « كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم » فالمسألة إذن راجعة إلى انشراح الصدر للعبادة والإقبال على الطاعة بفرح وسرور وغبطة بلا ملال أو فتور.

ومن عاداته ﷺ أنه إذا أصبح فلم يجد طعامًا مهيأ نوى الصيام ذلك اليوم، وأحيانًا يصبح صائمًا ثم يجد طعامًا شهيا فيأكل منه ويقطع صوم النافلة . وتحدثنا أم المؤمنين عائشة فتقول -كما فى مسلم- : دخل علىّ النبى ﷺ ذات يوم فقال : هل عندكم شىء؟ فقلنا : لا ، قال : إنى صائم، ثم أتانا يومًا آخر فقلنا : يا رسول الله، أهدى لنا حيس[1]، فقال : أرينيه فلقد أصبحت صائما، فأكل.

ومن هنا أخذ الفقهاء أن صوم النافلة يجوز بنية فى النهار قبل الزوال، وأن المتطوع أمير نفسه، ويجوز فطر الصائم نفلا من غير عذر، وإن كان الأولى إتمامه.

وإذا أردنا أن نخصص شهورًا بعينها لمزيد الصيام بعد رمضان، فهناك شهر شعبان وشهر الله المحرم . وتقول عائشة كما فى الصحيح : « وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته فى شهر أكثر منه صيامًا فى شعبان » وما ورد من قولها : « كان يصوم شعبان كله » قد فسرته رواية أخرى تقول : « كان يصوم شعبان إلا قليلا » .

وعن شهر المحرم يقول عليه الصلاة والسلام -كما أخرجه مسلم عن أبى هريرة : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

---

(١) وهو ثريد من أخلاط أو تمر مع السمن والأقط .

قال العلماء : وإنما أكثر الرسول الكريم من صيام شعبان دون المحرم، لأنه ربما علم فضل المحرم فى آخر حياته الشريفة قبل التمكن من صومه، أو لعله كان يعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم كسفر ومرض وغيرهما . .

أما شهر رجب فقد قال الإمام النووى : لم يثبت فى صومه نهى ولا ندب لعينه، ولكن أصل الصوم مندوب إليه . وفى سنن أبى داود أن رسول الله ﷺ ندب إلى الصوم من الأشهر الحرم، ورجب أحدها .

هذا وهناك نهى صريح من رسول الله ﷺ عن صوم الدهر، وهو أن تكون حياة الإنسان كلها صومًا، فذلك يؤدى إلى ضرر البدن وضعفه ويفوت معه أداء الحقوق لأصحابها، وسيأتى على الإنسان يوم -إن طال به العمر- يعجز عن مواصلة العبادة . . والله بعباده رءوف رحيم ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾ .

وفى حوار طريف دار بين الرسول ﷺ وعبدالله بن عمرو بن العاص وسجله مسلم فى صحيحه، قال : أُخبر رسول الله ﷺ أن عبدالله بن عمرو يقول : لأقومنّ الليل ولأصومنّ النهار ما عشت، فقال رسول الله ﷺ : أنت الذى تقول ذلك؟!

قال عبدالله بن عمرو : قد قلته يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ : فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر . .

قال ابن عمرو : فإنى أطيق أفضل من ذلك . قال الرسول الكريم : صم يومًا وأفطر يومين . قال ابن عمرو : فإنى أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله، قال عليه الصلاة والسلام : صم يومًا وأفطر يومًا وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام، قال عبدالله بن عمرو : فإنى أطيق أفضل من ذلك . قال عليه الصلاة والسلام : لا أفضل من ذلك .

وتدور الأيام ويطول عمر عبدالله ويعجز عن المحافظة على ما التزمه، فيقول : لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التى قال رسول الله ﷺ أحب إلىّ من أهلى ومالى . . وفى رواية : وددت أنى كنت قبلت رخصة نبى الله ﷺ .

وننبه المرأة إلى حكم شرعى يتعلق بصوم التطوع، وهو أن من حق الرجل الاستمتاع بزوجته فى أى وقت شاء، وفى صحيح البخارى أن الرسول ﷺ قال : « إذا دعا الرجل المرأة إلى فراشه فأبت أن تجىء لعنتها الملائكة حتى تصبح »، وذلك لأن الإعفاف إذا لم

يتحقق بين الزوجين كان مدعاة للفساد والانحلال..

واعترافًا بهذا الحق رفض الإسلام صوم المرأة نفلاً أو واجبًا على التراخى إلا بإذن زوجها حتى لا يقطع عليها عبادتها إن تاقت نفسه، ولو صامت المرأة بغير إذن زوجها فله الاستمتاع بها وإفساد صومها من غير كراهة.. قال عليه الصلاة والسلام -كما فى صحيح البخارى-: « لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ».

ومعنى « شاهد » أى حاضر، قال العلماء: فلو كان زوجها مريضًا بحيث لا يستطيع الجماع أو مسافرًا، جاز لها الصيام ولو بغير إذنه..

وهذا الحق للزوج لا يتعلق بأداء فريضة الصيام فى شهر رمضان، فإن هذا الوقت بالذات مقصود من الشارع ويتحتم فيه الصيام، فلا تحتاج المرأة إلى إذن زوجها فيه.

أيام أفردها الرسول بالصيام

هناك أيام خصها الرسول ﷺ بالصيام، وحث الناس عليها، لمزيد فضلها وكرم الله فيها.

من هذه الأيام عاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم، وصيام هذا اليوم كان معروفًا فى الجاهلية والإسلام، ففى صحيح الحديث أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: كانت قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية، وكان الرسول ﷺ يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال: من شاء صامه ومن شاء تركه.

وجاء فى روايات خرّجها مسلم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم: ما هذا اليوم الذى تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال الرسول ﷺ: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه.

ومن مجموع الروايات يتبين أن الرسول ﷺ صام عاشوراء قبل البعثة وبعدها إلى أن هاجر إلى المدينة فوجد اليهود صائمين، فأظهر صيامه، وحث المسلمين على صيامه وتعاهدهم به، حتى أرسل إلى قرى الأنصار التى حول المدينة من ينادى: من كان أصبح صائمًا فليتم صومه ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه..

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن صيام عاشوراء كان واجبًا على المسلمين فى أول الأمر، فلما فرض صيام رمضان أصبح صيامه سنة ومستحبًا..

وتفيد الروايات الصحيحة أن الرسول ﷺ لم يصم إلا اليوم العاشر فقط، ولما تحرج المسلمون من مشابهة أهل الكتاب قال عليه الصلاة والسلام: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع» فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ.

ومن هنا قال العلماء: يستحب صيام التاسع والعاشر معًا، لأن النبى ﷺ صام العاشر ونوى صيام التاسع..

ومن أيام الله التى أفردها الرسول ﷺ بالصيام صيام يوم عرفة، وهو اليوم التاسع من ذى الحجة، وفى فضله جاء الحديث الشريف -كما فى مسلم-: «صيام يوم عرفة

أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله » .

وصيام عرفة يستحب على وجه التأكيد لغير الحاج، أما الحاج فالأولى له الفطر، لأنه أرفق به فى آداب الوقوف ومهمات المناسك، وتحكى أم الفضل بنت الحارث امرأة العباس أن ناسًا تماروا عندها يوم عرفة فى صيام رسول الله ﷺ فقال بعضهم : هو صائم، وقال بعضهم : ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره بعرفة فشربه .

كذلك من الأيام المسنونة صيام ستة أيام من شوال لصحيح الحديث : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » .

ومعنى « كصيام الدهر » أن الحسنة بعشر أمثالها، فصيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام الأيام الستة بشهرين، فذلك صيام السنة، وقد جاء هذا المعنى فى حديث مرفوع فى كتاب النسائى .

وقد اختلف الفقهاء فى هذه الأيام الستة، هل هى خاصة بشوال أو عامة على مدار السنة؟ وهل هى عقب يوم الفطر أو خلال الشهر؟ وهل تصام متفرقة أو متوالية؟

والذى نختاره أنها خاصة بشوال، ولا معنى لأن يراد بها مطلق الصيام على مدار السنة، فذلك منطوق الحديث، فضلا عن أن هناك نصوصًا أخرى تعين أيامًا على مدار العام . .

ونرى أن الأفضل فيها التتابع والتوالى، ولو فرقها جاز ذلك، ولا يشترط أن تقع عقب يوم الفطر، بل لو صامها بعد العيد بأيام كان أولى خروجا من خلاف من حرم ذلك .

هذا وقد سئل رسول الله ﷺ -كما فى مسلم- عن صوم يوم الاثنين، فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت أو أنزل علىّ فيه » . .

ويستحب أيضا صيام يوم الخميس لكرامة هذا اليوم عند الله عز وجل فقد أخبر الصادق المصدوق فقال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا » .

وفى رواية صحيحة : « تعرض الأعمال فى كل يوم خميس واثنين، فيغفر الله عز وجل فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا، إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال : اتركوا هذين حتى يصطلحا » .

أيام يمتنع صومها

جاء فى صحيح الحديث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاء يوم العيد فصلى ثم انصرف فخطب الناس فقال: إن هذين يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما: يوم فطركم والآخر يوم تأكلون فيه من نسككم.

فيحرم صيام يوم عيد الفطر لأنه يعقب فريضة الصيام من رمضان، فناسب أن يعقبها فطر ليظهر انقضاؤها.. ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا خرج لصلاة عيد الفطر أكل تمرات قبل أن يخرج ليقطع أثر الصوم.. كذلك يحرم صيام يوم عيد النحر، لأن فيه نسكًا وهو الأضحية، فناسب أن يأكل الناس ويتصدقوا.. ولهذا امتد التحريم من يوم عيد النحر إلى أيام التشريق الثلاثة بعده، وجاء فى صحيح مسلم عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق فنادى أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأيام منى أيام أكل وشرب.

وسميت هذه الأيام أيام التشريق لتشريق الناس لحوم الأضاحى فيها وهو تقديدها ونشرها فى الشمس كى يدوم حفظها وصلاحها لفترات أطول..

ومن الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع أن من نذر أن يصوم يوم الاثنين مثلا من كل أسبوع فوافق يوم فطر أو أضحى فلا يجوز له صوم يوم العيد.. وقد توجه هذا السؤال إلى ابن عمر رضى الله عنهما، فأجاب قائلا: أمر الله تعالى بوفاء النذر ونهى رسول الله ﷺ عن صوم هذا اليوم. أى أن ابن عمر توقف عن الجزم بجوابه لتعارض الأدلة عنده، ولكن العلماء أجمعوا على عدم جواز صوم يوم العيد ولو صادف نذرًا، وهل يلزمه قضاؤه؟

قال النووى[1] : فيه خلاف للعلماء، وفيه للشافعى قولان أصحهما لا يجب قضاؤه، لأن لفظه لم يتناول القضاء، وإنما يجب قضاء الفرائض بأمر جديد على المختار عند الأصوليين، وكذلك لو صادف أيام التشريق لا يجب قضاؤه فى الأصح، ويحتمل أن ابن عمر عرض له بأن الاحتياط لك القضاء لتجمع بين أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.

كذلك يكره إفراد يوم الجمعة بصيام أو إفراد ليلتها بقيام، وقد ورد فى ذلك أحاديث

(١) صحيح مسلم بشرح النووى – ج ٨ ، ص ١٦.

صحيحة، منها ما جاء فى مسلم عن أبى هريرة ضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم ».

وسأل محمد بن عباد بن جعفر، جابر بن عبدالله وهو يطوف بالبيت أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة؟ فقال: نعم ورب هذا البيت.

وتزول هذه الكراهة إن وافق يوم الجمعة عادة له، كأن يصوم يومًا ويفطر يومًا فوافق يوم الجمعة أو وصله بيوم قبله أو بعده.. فلا كراهة عليه حينئذ.

والحكمة فى النهى عنه أن يوم الجمعة يشبه يوم العيد، فهو يوم دعاء وعبادة واجتماع مع المسلمين، يتميز بخطبة الجمعة وصلاتها وما يسبق ذلك من غسل وتبكير إلى الصلاة واستماع لدعوة الخير.. فالفطر أعون على هذه الخيرات حتى تؤدى بنشاط وانشراح صدر ومسارعة من غير ملل ولا سآمة، والمسلم يوم الجمعة يشبه الحاج يوم عرفة، فالسنة فى حقه الفطر لأنه مشغول بعبادة خاصة.

فإن قيل: لو كان الأمر كذلك فلم يزول النهى والكراهة بصوم قبله أو بعده؟ والجواب -كما قال النووى[1]- أنه يحصل للمسلم بفضيلة الصوم الذى قبله أو بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور أو تقصير فى وظائف الجمعة بسبب صومه.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى - ج ٨، ص ١٩.

صوم الكفارات

نظراً لما للصوم من أثر كبير فى التربية والسلوك، وما يحققه للنفس من قيم وآداب، فإن الله جل جلاله قد جعل للصوم مدخلا فى كفارات الذنوب وبعض المخالفات المتعلقة بالعبادات.

ففى الحج عندما لا يستطيع المحرم الالتزام ببعض محظورات الإحرام فإن عليه فدية هى ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام.. قال الله تعالى: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[البقرة: ١٩٦].

وهذا التقسيم فى الصيام إنما هو لغير المقيمين فى مكة، أما أهل الحرم فإنهم يصومون الأيام العشرة مطلقا، سواء كانت متتابعة أو متفرقة.

وقد منع الله تعالى المحرم من صيد البر، ورتب على المخالفة جزاء أشارت إليه الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ [المائدة: ٩٥].

فالمحرم الذى قتل صيداً مأكولا مخير بين ان يذبح ما يماثله من الأنعام، أو يقوم هذا المثل ويتصدق به، أو يقوّم الصيد نفسه إن لم يكن له مثل، أو يصوم عن كل مد يومًا، وقيل عن كل نصف صاع يومًا(١).

وفى كفّارة اليمين شرع الله تعالى الصوم ثلاثة أيام عند العجز عن عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، قال الله تعالى: ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا

(١) الصاع أربعة أمداد وهو بالكيل المصرى قدحان.

أَيْمَانِكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٩].

فكفارة اليمين مخيرة فى الابتداء، مرتبة فى الانتهاء، بمعنى أنه لا ينتقل إلى الصوم إلا عند العجز عن الثلاثة السابقة..

وقد أجمع الفقهاء على أن من أفطر فى نهار رمضان بالجماع وجب عليه عتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكينا، لثبوت الحديث الصحيح فى ذلك(١)، واختلفوا فى وجوب هذه الكفارة بالإفطار بالأكل والشرب عمدا.

قال ابن رشد: «فإن مالكًا وأصحابه وأبا حنيفة وأصحابه والثورى وجماعة ذهبوا إلى أن من أفطر متعمدا بأكل أو شرب أن عليه القضاء والكفارة المذكورة فى هذا الحديث.

وذهب الشافعى وأحمد وأهل الظاهر إلى أن الكفارة إنما تلزم فى الإفطار من الجماع فقط.

والسبب فى اختلافهم فى جواز قياس الفطر بالأكل والشرب على الفطر بالجماع، فمن رأى أن شبههما فيه واحد، وهو انتهاك حرمة الصوم جعل حكمهما واحدا، ومن رأى أنه وإن كانت الكفارة عقابًا لانتهاك الحرمة فإنها أشد مناسبة للجماع منها لغيره، وذلك أن العقاب المقصود به الردع، والعقاب الأكبر قد يوضع لما إليه النفس أميل، وهو لها أغلب من الجنايات، وإن كانت الجناية متقاربة، إذ كان المقصود من ذلك التزام الناس الشرائع، وأن يكونوا أخياراً عدولا، كما قال تعالى: **﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾**.

قال: هذه الكفارة المغلظة خاصة بالجماع..

وهذا إذا كان ممن يرى القياس.

وأما من لا يرى القياس فأمره بين، أنه ليس يعدى حكم الجماع إلى الأكل والشرب.

وأما ما روى مالك فى الموطأ أن رجلا أفطر فى رمضان، فأمره النبى ﷺ بالكفارة المذكورة، فليس بحجة، لأن قول الراوى «فأفطر، هو مجمل، والمجمل ليس له عموم فيؤخذ به...»(٢).

---

(١) سبق الكلام عنه فى المعاشرة الزوجية.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج١، ص٣٧١، طبعة دار الكتب الحديثة.

وقد ذكر القرآن المجيد هذه الكفارة المغلظة فى حكم الظهار الذى تضمنته سورة المجادلة فى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٣-٤].

وفى كفارة القتل ذكر الله تعالى صيام شهرين متتابعين عند العجز عن عتق رقبة.. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٩٢].

وقد ذهب الشافعى رحمه الله تعالى إلى أن هذه الكفارة تجب فى القتل مطلقا، سواء كان عمداً أو خطأ، لما روى عن واثلة بن الأسقع قال: أتينا رسول الله ﷺ فى صاحب لنا أوجب النار بالقتل، فقال: « اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار». رواه أبو داود وصححه الحاكم.

وقال الشافعى بالقياس أيضا من حيث إن الغرض من إعتاق العبد هو أن يعتقه الله من النار، والحاجة إلى هذا المعنى فى القتل العمد أتم، فكانت الحاجة فيه إلى إيجاب الكفارة أتم..



المبحث الثالث

الرسول والعبادة فى رمضان

- قيام رمضان.
- دعاء قيام الليل.
- السواك.
- الاعتكاف.
- زكاة الفطر.
- التكافل الاجتماعى.
- الجهاد فى رمضان.

الرسول وقيام رمضان

أخرج مسلم في صحيحه عن عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل فصلى فى المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم، فخرج رسول الله ﷺ فى الليلة الثانية فصلوا بصلاته، فأصبح الناس يذكرن ذلك، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فطفق رجال منهم يقولون الصلاة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر، فلما قضى الفجر أقبل على الناس ثم تشهد فقال: أما بعد، فإنه لم يخف عليَّ شأنكم الليلة، ولكنى خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها..

من الأمور التى كثر خلاف الناس فيها صلاة التراويح فى شهر رمضان، والذى نريد أن يفقهه الناس أن من صلاة النوافل فى الإسلام التهجد وهو قيام الليل بعد نوم وأداء بعض الركعات وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات:١٨]، وبقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦].

وهذه الصلاة لها أكثر من كيفية وردت بها روايات صحيحة، منها أنها مثنى مثنى، وتختم بواحدة تسمى وترا..

ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل، فقال: «صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى».

ومنها أن تؤدى مجموعة ركعات متواليات لا يجلس فى شيء منها إلا فى آخرها وهى الثامنة ولا يسلم، ثم ينهض ويصلى التاسعة ثم يتشهد ويسلم، ثم يصلى ركعتين جالساً..

ففى صحيح مسلم أن عائشة رضى الله عنها سئلت عن وتر رسول الله ﷺ، فقالت: كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلى تسع ركعات لا يجلس فيها إلا فى الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا

يسلم ثم يقوم فيصلى التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلى ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك إحدى عشرة ركعة، يا بنى، فلما أسن نبى الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع، وصنع فى الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع.

ثم تخبر السيدة عائشة أن الرسول إذا شغله شيء عن قيام الليل صلى نهاراً اثنتى عشرة ركعة، فتقول فى نفس الحديث السابق: يا بنى، وكان نبى الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة.

وجاءت روايات أخرى تفيد أن صلاة الليل أربع ركعات ثم أربع أخرى ثم ثلاث . .

واختلفت الروايات فى العدد الذى كان يؤديه الرسول الكريم فى رمضان وفى غيره ما بين إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة وخمس عشرة ركعة . . ومن هذه الروايات ما جاء فى الصحيح أن أبا سلمة بن عبدالرحمن سأل عائشة رضى الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فى رمضان؟

قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلى أربعا، فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ، ثم يصلى أربعًا فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ، ثم يصلى ثلاثًا.

وقد وجه العلماء اختلاف الروايات بحسب ما كان يحصل من اتساع الوقت أو ضيقه، وطول القراءة وقصرها، أو بحسب الأحوال من عذر مرض أو غيره، أو بحسب الأوقات من كهولة وكبر سن وشيخوخة، إلى غير ذلك . .

وحكى الإمام النووى عن بعض الأئمة:

« ولا خلاف أنه ليس فى ذلك حد لا يزاد عليه ولا ينقص عنه، وأن صلاة الليل من الطاعات التى كلما زاد فيها زاد الأجر، وإنما الخلاف فى فعل النبى ﷺ وما اختاره لنفسه »(١).

هذا وصلاة التراويح هى صلاة الليل على التحقيق، وليست صلاة خاصة برمضان، وإنما شأنها شأن سائر الطاعات، تتأكد به وفيه . . وبدليل قول الرسول الكريم: « ولكنى خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا ».

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى – ج ٦ ، ص ١٩ .

والمراد بقوله ﷺ فى صحيح الحديث: « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » هو قيام الليل مطلقًا بصلاة وذكر ودعاء.

ويستفاد من مجموع الأحاديث أن صلاة المرء ينبغى أن تكون متساوية فى جميع السنة اقتداء برسول الله ﷺ..

والأصل فى النوافل أن تؤدى على انفراد وفى البيت، ولكن لما اجتمع المسلمون خلف الرسول الكريم، ولم يكن قد أمرهم فيها بعزيمة، خشى أن تفرض عليهم الجماعة فى صلاة الليل، فترك الخروج من حجرته إلى المسجد..

وتوفى رسول الله والأمر على ذلك من غير اجتماع الناس فى صلاة الليل بالمسجد، إلى أن جاء عمر واستحسن جمع المسلمين فى المسجد على إمام واحد.

ففى صحيح البخارى عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبدالرحمن ابن عبدالقارى أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة فى رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلى الرجل لنفسه، ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط.

فقال عمر: إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أُبى بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم.. قال عمر: نعم البدعة هذه، والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون -يريد آخر الليل- وكان الناس يقومون أوله ».

وقد علق فى الفتح على عبارة عمر هذه فقال: البدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق فى الشرع فى مقابل السنة فتكون مذمومة، والتحقيق أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن فى الشرع فهى حسنة، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح فى الشرع فهى مستقبحة، وإلا فهى من قسم المباح، وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة..

قوله: « والتى ينامون عنها أفضل » هذا تصريح منه بأن الصلاة فى آخر الليل أفضل من أوله، لكن ليس فيه أن الصلاة فى قيام الليل فرادى أفضل من التجميع(١).

وقد ساق الإمام ابن حجر تكميلا فى فتحه عن عدد الركعات التى جمع عمر الناس عليها، ونقل روايات عن قيام رمضان منها:

روى سعيد بن منصور أنها إحدى عشرة ركعة، وكانوا يقرأون بالمائتين، ويقومون

(١) فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى، ج٤ ، ص٢٥٣.

على العصى من طول القيام.

وروى محمد بن نصر عن عطاء قال: أدركتهم فى رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاثة ركعات الوتر.

وروى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال: أدركت الناس فى إمارة أبان بن عثمان وعمر بن عبدالعزيز -يعنى بالمدينة- يقومون بست وثلاثين ركعة، ويوترون بثلاث.

وعن الزعفرانى عن الشافعى: رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين، وليس فى شىء من ذلك ضيق. وقال: إن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن، وإن أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن، والأولى أحب إلىّ.

وقال الترمذى: أكثر ما قيل فيه أنها تصلى إحدى وأربعين ركعة، يعنى بالوتر.

وقال السائب بن يزيد: كنا نصلى زمن عمر فى رمضان ثلاث عشرة، قال ابن إسحق: وهذا أثبت ما سمعت فى ذلك[1].

بعد هذا نقول: إن كل مسلم يؤدى من قيام الليل ما تنشط له همته، ويتأمل قراءته، ويستجمع له فكره نحو جلال الله وكماله، ويتهيأ به لتلقى نفحات الله عز وجل التى أشار إليها الرسول الكريم فى حديثه الصحيح:

«ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك.. أنا الملك.. من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟! من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟! من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟! فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر».

(١) فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى، ج٤ ، ص٢٥٤ بتصرف.

دعاء قيام الليل

كان رسول الله ﷺ إذا قام من ليله مسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ (١٩٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

وكان ﷺ إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل قال:

« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض.

ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض.

ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن.

أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت.

فاغفر لى ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت.

أنت إلهى، لا إله إلا أنت ».

وكان ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته قائلا :

« اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل.

فاطر السموات والأرض.

عالم الغيب والشهادة.

أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون.

اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم ».

وأحيانا يقول :

« وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت.

أنت ربى وأنا عبدك.

ظلمت نفسى واعترفت بذنبى، فاغفر لى ذنوبى جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

واهدنى لأحسن الأخلاق، لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها، لا يصرف عنى سيئها إلا أنت.

لبيك وسعديك والخير كله فى يديك، والشر ليس إليك.

أنا بك وإليك تباركت وتعاليت.

أستغفرك وأتوب إليك ».

وإذا ركع رسول الله ﷺ قال :

« اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت.

خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى ».

وإذا رفع رسول الله ﷺ قال :

« اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعده » .

وإذا سجد رسول لله ﷺ قال :

« اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت .

سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره .

تبارك الله أحسن الخالقين » .

ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم :

« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به منى .

أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت » .

وكان ﷺ إذا أذن المؤذن وخرج إلى صلاة الفجر قال :

« اللهم اجعل فى قلبى نوراً، وفى لسانى نوراً .

واجعل فى سمعى نوراً، واجعل فى بصرى نوراً .

واجعل من خلفى نوراً، ومن أمامى نوراً .

واجعل من فوقى نوراً، ومن تحتى نوراً .

اللهم أعطنى نوراً »(١) .

(١) راجع هذه النصوص فى صحيح مسلم بشرح النووى، ج٦، ص٤٧ – ٦٠ .

الرسول والسواك

فى صحيح الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك »، وذلك لما قد يعلق بالفم من آثار الطريق.

وعن حذيفة رضى الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ليتهجد يشوص فاه بالسواك » أى يدلك أسنانه بالسواك إزالة لآثار النوم.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إنه بات عند النبى ﷺ ذات ليلة، فقام نبى الله ﷺ من آخر الليل فخرج فنظر فى السماء، ثم تلا هذه الآية فى آل عمران ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار** ﴾ حتى بلغ ﴿ **فقنا عذاب النار** ﴾ ثم رجع إلى البيت فتسوَّك وتوضأ، ثم قام فصلى ثم اضطجع ثم قام فخرج فنظر إلى السماء فتلا هذه الآية ثم رجع فتسوَّك فتوضأ ثم قام فصلى.

والمعنى أنه يستحب قراءة هذه الآيات عند الاستيقاظ من الليل، مع النظر إلى السماء، لما فى ذلك من عظم التدبر، مع استعمال السواك والوضوء وأداء صلاة التهجد، مناجاة لله رب العالمين..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة».

وفى هذا الحديث بيان ما كان عليه النبى ﷺ من الرفق بأمته، وفيه دليل استحباب السواك عند الدخول فى الصلاة..

ومن كل ما تقدم نرى أدبًا من آداب الإسلام، وهديًا من هدى رسول الله ﷺ، وهو استعمال السواك آناء الليل وأطراف النهار، فهو سنة مستحبة فى جميع الأوقات، ولكنه **فى خمسة أوقات أشد استحبابًا** :

١ - عند تغير رائحة الفم لأى سبب من الأسباب، كطول سكوت، أو إمساك عن الطعام، أو تناول شىء له رائحة كريهة، لأن الإسلام حريص على نظافة المسلم وحسن لقائه بإخوانه. وقد قال عليه الصلاة والسلام: من أكل ثومًا أو بصلا فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا..

٢ – عند الاستيقاظ من النوم، لما يعترى الفم حينئذ من تغير . .

٣ – عند الوضوء كنوع من تمام الطهارة والنظافة التى يحرص المسلم على الاتصاف بها . . فالطهور شطر الإيمان .

٤ – عند الصلاة، إذ يستحب تمام الزينة وحسن الهيئة حين يقف المسلم أمام خالقه ومالك الملك والملكوت .

٥ – عند قراءة القرآن، حتى يطهر الفم الذى هو محل مناجاة الله بكلامه المنزل . .

وذهب الإمام الشافعى إلى أن السواك يكره للصائم بعد زوال الشمس لئلا يزيل رائحة التغير التى تحصل عند خلو المعدة فى ذلك الوقت، لخبر الصحيحين : « لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

والخلوف : تغير فم الصائم، وإنما يكون هذا التغير بعد الزوال، لحديث : « أعطيت أمتى فى رمضان خمساً » . ثم قال : « والثانية : فإنهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك » . والمساء بعد الزوال . وأطيبية الخلوف تدل على طلب إبقائه إلى وقت الغروب . .

وذهب فريق من العلماء إلى نفى هذه الكراهة وبقاء الحكم العام وهو الاستحباب فى كل وقت، لأن خلفة فم الصائم تنشأ من خلو المعدة، وهى باقية ببقاء الصوم ولا علاقة للسواك بها . .

هذا وتحصل السنة بكل مزيل للصفرة من الأسنان، سواء كان عوداً من شجر الأراك أو غيره، أو الفرشاة المعروفة حاليا، فالمقصود هو نظافة الأسنان . .

قال العلماء : والمستحب أن يستاك عرضًا ولا يستاك طولا، لئلا يدمى لحم أسنانه، ويستحب أن يمر السواك على طرف أسنانه وكراسى أضراسه وسقف حلقه إمراراً لطيفًا، ويستحب أن يبدأ فى سواكه بالجانب الأيمن .

وهذا كله إرشاد نبوى كريم، حتى يظل المسلم طيب الرائحة، كريم النفس، سليم البدن .

الاعتكاف

فى اللغة :

عكفه : حبسه ووقفه .

والاعتكاف : الاحتباس .

وعكف على الشيء : أقبل عليه مواظبًا .

وفى الشرع :

المكث فى المسجد بنية، وهو عبادة قديمة أشار إليها القرآن المجيد فى قوله تعالى : ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

حكمه :

سنة مؤكدة تستحب فى كل وقت، وقد يجب بالنذر . .

وفى صحيح الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده .

وفى صحيح البخارى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : يا رسول الله، إنى نذرت فى الجاهلية أن اعتكف ليلة فى المسجد الحرام، فقال له النبى ﷺ : « أوف نذرك، فاعتكف ليلة » .

وثبت أن النبى ﷺ اعتكف العشر الأول من شوال .

مكانه وكيفيته :

جمهور العلماء على أن الاعتكاف لا يكون إلا فى مسجد، وجاءت آراء للعلماء تخصص المسجد، فقال الشافعى ومالك يصح الاعتكاف فى كل مسجد، وقال أحمد : يختص بمسجد تقام الجماعة الراتبة فيه، وقال أبوحنيفة : يختص بمسجد تصلى فيه الصلوات كلها، وقال الزهرى وآخرون : يختص بالجامع الذى تقام فيه الجمعة . ونقلوا عن حذيفة بن اليمان الصحابى اختصاصه بالمساجد الثلاثة : المسجد الحرام ومسجد المدينة

والأقصى..

وهذا الحكم عام للرجل والمرأة، إلا أن أبا حنيفة صحح اعتكاف المرأة فى مسجد بيتها..

وقد حدثت عائشة رضى الله عنها -كما فى صحيح مسلم- قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه، وإنه أمر بخبائه فضرب، أراد الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان. فأمرت زينب بخبائها فضرب، وأمر غيرها من أزواج النبى ﷺ بخبائه فضرب، فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر نظر فإذا الأخبية فقال: آلبر تردن؟!

فأمر بخبائه فقوّض وترك الاعتكاف فى شهر رمضان حتى اعتكف فى العشر الأول من شوال.

وفى فهم هذه الواقعة ساق الإمام النووى هذا النص:

« قال القاضى: قال رسول الله ﷺ هذا الكلام إنكاراً لفعلهن، وقد كان ﷺ أذن لبعضهن فى ذلك كما رواه البخارى، قال: وسبب إنكاره:

أنه خاف أن يكن غير مخلصات فى الاعتكاف، بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه أو لغيرته عليهن، فكره ملازمتهن المسجد، مع أنه يجتمع الناس ويحضره الأعراب والمنافقون وهن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض لهن فيبتذلن بذلك.

أو لأنه ﷺ رآهن عنده فى المسجد وهو فى المسجد، فصار كأنه فى منزله بحضوره مع أزواجه، وذهب المهم من مقصود الاعتكاف، وهو التخلى عن الأزواج ومتعلقات الدنيا وشبه ذلك.

أو لأنهن ضيقن المسجد بأبنيتهن..

وفى هذا الحديث دليل لصحة اعتكاف النساء، لأنه ﷺ كان أذن لهن، وإنما منعهن بعد ذلك لعارض، وفيه أن للرجل منع زوجته من الاعتكاف بغير إذنه، وبه قال العلماء كافة، فلو أذن لها فهل له منعها بعد ذلك، فيه خلاف للعلماء.... »(١).

وقته ومدته:

يرى أكثر الفقهاء أن الاعتكاف يصدق بأقل زمن يسمى مكثًا فى المسجد، وحدده

(١) صحيح مسلم بشرح النووى، ج٨، ص٦٩.

بعض الفقهاء بيوم وليلة . .

ومن نذر أيامًا دخل معتكفه قبل طلوع الفجر وخرج بعد غروب الشمس، ومن نذر ليالى دخل قبل الغروب وخرج بعد طلوع الفجر.

صوم المعتكف :

من السنة أن يصوم المعتكف، بل ذهب مالك وأبو حنيفة وجماعة إلى انه لا اعتكاف إلا بصوم، وقال الشافعى يجوز الاعتكاف بغير صوم.

مبطلاته :

يبطل الاعتكاف وينتهى بالخروج من المسجد، ويستثنى من ذلك الخروج لحاجة الإنسان من بول وغائط واغتسال واجب، أو عذر من حيض ونفاس، أو عذر من مرض لا يمكن المقام معه، فلو خرج لهذه الأعذار لا يبطل الاعتكاف، ويمكنه استئنافه والبناء على ما مضى منه إذا كان مرتبطاً بمدة معينة . .

ويبطل الاعتكاف بالوطء، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وليس المراد الوطء داخل المسجد فإنه حرام مطلقاً، وإنما المراد أن المعتكف قد يخرج لحاجة لا يبطل معها الاعتكاف ثم يعاشر زوجته خارج المسجد، فيبطل الاعتكاف حينئذ .

عمل المعتكف :

قال الإمام ابن رشد : « فأما العمل الذى يخصه ففيه قولان؛ قيل إنه الصلاة وذكر الله وقراءة القرآن لا غير ذلك من أعمال البر والقرب، وهو مذهب ابن القاسم، وقيل : جميع أعمال القرب والبر المختصة بالآخرة وهو مذهب ابن وهب فعلى هذا المذهب يشهد الجنائز ويعود المرضى ويدرس العلم، وعلى المذهب الأول لا . . وهذا هو مذهب الثورى، والأول هو مذهب الشافعى وأبى حنيفة . . »[١].

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج١، ص ٣٨٢ .

زكاة الفطر

فى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على كل حر أو عبد، ذكر أو أنثى، من المسلمين » .

وسميت زكاة الفطر بهذا الاسم لأن وجوبها يتحقق بالفطر من آخر يوم من رمضان، وتسمى زكاة الفطر، التى هى الخلقة المرادة بقوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم : ٣٠]، والمعنى أنها وجبت على الخلقة تزكية للنفس وتطهيراً لها وتنمية لعملها، وتسمى أيضاً زكاة الأبدان لأنها تجب على الأشخاص بأعيانهم فى مقابلة زكاة الأموال التى تتعلق بالمال الذى يبلغ نصاباً .

وجمهور العلماء على فرضية زكاة الفطر، وحكى الإمام ابن رشد أقوالاً أخرى هى :

ذهب بعض المتأخرين من أصحاب مالك إلى أنها سنة، وبه قال أهل العراق، وقال قوم : هى منسوخة بالزكاة .

وسبب اختلافهم تعارض الآثار فى ذلك، وذلك بأنه ثبت من حديث عبد الله بن عمر أنه قال : « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر . . » .

وظاهر هذا يقتضى الوجوب على مذهب من يقلد الصاحب فى فهم الوجوب أو الندب من أمره عليه الصلاة والسلام إذا لم يحدد لنا لفظه .

وثبت أن رسول الله ﷺ قال فى حديث الأعرابى المشهور، وذكر رسول الله الزكاة قال : هل على غيرها؟ قال : لا إلا أن تطوّع .

فذهب الجمهور إلى أن هذه الزكاة داخلة تحت الزكاة المفروضة وذهب الغير إلى أنها غير داخلة، واحتجوا فى ذلك بما روى عن قيس ابن سعد بن عبادة أنه قال : « كان رسول الله ﷺ يأمرنا بها قبل نزول الزكاة، فلما نزلت آية الزكاة لم نؤمر بها ولم ننه عنها ونحن نفعله[١] .

وهذه الزكاة لها حكمتان بالغتان :

---

(١) بداية المجتهد، ج١، ص ٣٤٧ .

الأولى: شأن المسلم أن يشكر نعمة الله عليه، ويعيش مع الناس، يحس بإحساسهم ويتجاوب مع مشاعرهم، والزكاة لون من شكر النعمة والمساهمة فى إشاعة البسمة والسرور على قلوب المحرومين والبؤساء..

ومناسبة شهر رمضان وعيد الفطر أدعى لأن يتعاون المسلمون ويتكافلوا ويظهروا جميعاً بمظهر المؤاخاة الدينية العامة..

الثانية: زكاة الفطر لشهر رمضان، كسجدة السهو للصلاة، تجبر نقصان الصوم، كما يجبر السجود نقصان الصلاة، والعبادات التى يطول أداؤها يشق التحرز فيها من أمور تفوت كمالها.. فربما غفل الإنسان عن حكمة الصوم أو زل لسانه بكلمة أو انتابه ضعف إرادى تجاه موقف لا يتناسب وكمال الصوم.. فكانت زكاة الفطر كفارة لمثل هذه الحالات.

وقد أشار الرسول ﷺ إلى هاتين الحكمتين فقال - كما رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الحاكم: «زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين».

وهذه الزكاة تجب بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان، فكل من أدرك جزءاً من رمضان وجزءاً من شوال تجب عنه الزكاة، فنخرجها عمن ولد قبل الغروب من آخر يوم رمضان، وكذلك عمن مات بعد الغروب.. لكن من ولد بعد الغروب فى آخر أيام رمضان فلا زكاة عنه لأنه لم يدرك جزءاً من رمضان، لأن الشهر قد انتهى بغروب الشمس.

ويزكى الإنسان عن نفسه وعمن يلزمه نفقته من المسلمين كزوجته وأولاده الذين فى كفالته، والخادم الذى يعمل بأجر وشرط نفقته على المستأجر، وكذلك يزكى الإنسان عن أبويه إن كانوا فى كفالته ولا مال لهم.

ولا يشترط فى هذه الزكاة نصاب معين، بل تجب على من يجد زيادة عن قوته وقوت من تلزمه نفقته يوم العيد وليلته. وقال الإمام أبو حنيفة: لا تجب على من يحل له أخذ الزكاة، وذهب عطاء والزهرى والليث إلى أنها لا تجب على أهل البوادى والشعاب لعدم استقرارهم وإنما هى خاصة بأهل الأمصار والقرى.

ومقدار هذه الفريضة - على ما نختاره - قدحان[1] من قمح أو شعير أو أرز أو غير

(١) القدحان يساويان ثلاثة كيلو جرام.

ذلك مما يقتات ويعيش عليه الناس. ولم يجز عامة الفقهاء إخراج القيمة، وأجازه أبو حنيفة.

وقد أوصى رسول الله ﷺ بإخراج هذه الزكاة قبل صلاة العيد حتى يتهيأ الناس جميعاً لاستقبال العيد فى فرح وغبطة وسرور، ففى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بإخراج زكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة».

وفى حديث صححه الحاكم: «فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات».

وعلى هذا يحرم تأخيرها عن يوم العيد بلا عذر، كغيبة ماله أو المستحقين، أما تقديمها عن يوم العيد، فقال بعضهم: يجوز من أول رمضان، وقيل: لا تقدم على وقت وجوبها إلا ما يغتفر كاليوم واليومين وهذا أولى لأنه أدعى لاستراحة الناس أيام العيد وهدوء أحوالهم واستقرار أمورهم المالية فى هذه الأيام المباركة السعيدة.

التكافل الاجتماعى

كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون فى رمضان، وهذا ما يدفعنا إلى الحديث عن تكافل المسلمين، فالمجتمع فى حاجة إلى التعاون والبر، والإنسان لا يعيش وحده وإنما هو فى ضرورة ماسة إلى إخوانه وبنى جنسه.

وخير ما يربط صلات الناس، ويعمق التعاون بينهم هو الإيمان الصادق..

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠].

وقال رسول الله ﷺ كما فى الصحيح: « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ».

ويوم يتأصل الإيمان فى النفس يفعل الإنسان الواجب لذاته، ويسعى فى الخير بلا نفاق، ويخدم الآخرين بلا مَنٍّ ولا أذى.. وإلى هذا المعنى الرفيع يشير قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ۝٩ ﴾ [الإنسان : ٩].

ولدينا نموذج فريد فى العلاقات الاجتماعية، يوم قدم المهاجرون إلى المدينة وقد تركوا ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، فاستقبلهم الأنصار وقاسموهم أموالهم وديارهم محبة لله وفى الله، وتمت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بلا وشيجة رحم أو قربى، وبلا قانون أو قوة، وإنما كان مجرد الإعلان عنها كفيلاً بتطبيقها.. ونزل قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ [الحشر: ٩].

ولدينا نموذج آخر وهم الأشعريون من اليمن، امتدحهم رسول الله ﷺ بخصلة حميدة، هى التكافل الاجتماعى والمساندة المالية والمشاركة الوجدانية التامة، فقال: « إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم ».

ونحن نتلفت حولنا فنجد إخوة لنا فى البلاد العربية والإسلامية، جرفهُم الطوفان واجتاحتهم الأعاصير وزلزلت الأرض تحتهم أو دهمتهم قوي الشر والطغيان، فوقعوا فى بلاء وشدة وكرب، وأضحوا فى أمس الحاجة إلى المساعدة..

والواجب يحتم علينا أن نشارك فى هذه النوائب، ونتقدم بالعون للمحتاجين، ونعطى عطاء من لا يخشى الفقر لهؤلاء البؤساء..

وقد قال رسول الله ﷺ - كما رواه مسلم -: « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » . . . قال الراوى أبو سعيد الخدرى: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل.

فالمال مال الله، استخلفنا فيه، وليس للإنسان من ماله إلا ما تصدّق به، أما ما عدا ذلك فمآكل تفنى وملابس تبلى ومظاهر خادعة.

وفى تشبيه رائع تحكى السيدة عائشة - كما رواه الترمذى -: أنهم ذبحوا شاة، فقال النبى ﷺ: ما بقى منها، قالت: ما بقى منها إلا كتفها، قال عليه الصلاة والسلام: بقى كلها غير كتفها.

فلننظر إلى هذا المعنى الرائع الجميل الشائق.. فالذى أنفق من الشاة هو الباقى وإن عادت منفعته إلى الغير، والذى ترك من الشاة هو الفانى وإن عادت منفعته إلى الشخص..

وفى شحذ للهمة لطيف يسائل النبى ﷺ أصحابه قائلاً - كما فى صحيح البخارى -: « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال عليه الصلاة والسلام: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر ».

فلنسارع إلى الصدقة والبر والصلة، وقد منحنا الله المال وتفضل علينا بالثواب.. قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ** (١٨) ﴾ [الحديد: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (٢٦١) ﴾ [البقرة: ٢٦١].

إن أبواب الخير كثيرة مفتحة، وفضل الله وثوابه أكبر وأكثر.. وقد قال رسول الله ﷺ - كما رواه مسلم -: « من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ».

فما أقل العمل، وما أعظم الثواب.

وشتان ما بين كربة الدنيا وكربة الآخرة.

إن الكريم يحبه أهل الأرض والسماء، وإن البخيل يمقته أهل الأرض والسماء، وما من يوم إلا وينادى ملكان - كما أخبرنا المصطفى الصادق المصدوق:

يقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً.

ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً.

إن ربنا تبارك وتقدَّس يتحبب إلينا بالنعم، ويدعونا إلى فردوسه الأعلى، ويرغبنا فى جنة عرضها السموات والأرض.. ويجعل ذلك مرهوناً بعمل الخير وخير العمل للناس فى مواساتهم وقضاء حوائجهم..

وفى صحيح الحديث أن الله عز وجل يقول يوم القيامة:

« يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى، قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده؟!!

يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى، قال: يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟!

يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى، قال: يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى؟!!».

فلنحرص على أبواب الخير، ولتجد نفوسنا، ولنبذل بسخاء المؤمنين وكرم أهل التقوى.. قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)﴾ [آل عمران: ٩٢].

إن المال نعمة يوم يسخر لخدمة المجتمع، ويوم يراعى فيه حق الضعفاء والمحتاجين وذوى القربى والأرحام، وإلا انقلب إلى نقمة، وأصبح وبالاً على صاحبه فى الدنيا والآخرة..

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

وفى الصحيحين: أن أبا ذر رضى الله عنه قال: انتهيت إلى النبى ﷺ وهو جالس فى ظل الكعبة، فلما رآنى قال: هم الأخسرون ورب الكعبة. فجئت حتى جلست فلم أتقارَّ أن قمت فقلت: يا رسول الله، فداك أبى وأمى، من هم؟ قال: هم الأكثرون أموالاً، إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وقليل ما هم.

الجهاد فى رمضان

أذن الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بالقتال بعد الهجرة، رداً للعدوان، وتأميناً للعقيدة، ودعوة إلى الخير.. قال الله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

وكانت غزوات رسول الله ﷺ التى باشرها بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، قاتل فى تسع منها هى: بدر، وأُحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف..

وقد وقعت غزوتان فى رمضان، غزوة بدر فى السابع عشر من شهر رمضان للعام الثانى الهجرى، وفتح مكة فى العاشر من شهر رمضان للعام الثامن الهجرى.

والجهاد قمة العبادات وأعظم القربات إلى الله عز وجل، وكان ﷺ يحث أصحابه كثيراً على الجهاد والثبات والتضحية والاستشهاد.

ففى صحيح الحديث عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله».

وفى حديث آخر: تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى، فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم وريحه ريح مسك. والذى نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى. والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل».

وقد حرص رسول الله ﷺ على تعليم المسلمين صدق النية فى الجهاد وسلامة القصد، فحين جاء رجل يسأله : يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن فى سبيل الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

وتأكيداً لهذه النية الصادقة أدب الرسول أصحابه على استمرار هذا العزم فى القلب، مصاحباً للاستعداد الدائم، ومواكباً لممارسة التدريب المستمر . . فقال : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » .

« من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق » .

وحدث عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » .

وقد رئى أحد الصحابة فى حال الكبر يمارس الرمى ويحافظ على التدريب، رغم المشقة التى تعتريه، فقيل له فى ذلك، فقال : لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه . . إنه قال : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا، أو قد عصى » .

وإذا أردنا أن نتعرف على مواطن القدوة فى الرسول القائد فعلينا أن نقف عند غزوات الرسول ﷺ التى قاتل فيها وخطط لها وباشر مهمة القيادة العسكرية الناجحة . .

وعلى سبيل المثال : ففى يوم بدر الذى سماه القرآن (يوم الفرقان) نلمس هذه القيادة العسكرية الفذة فى النقاط التالية :

أولا : تهيئة الرأى العام للمعركة، واستيثاق القائد من أمر الجيش، ويظهر ذلك جلياً حين ندب الرسول المسلمين إلى اعتراض قافلة أبى سفيان، لعل الله أن ينفلها لهم، فلما أفلتت القافلة بدأ الرسول ﷺ يستشير الناس للجهاد فى مواجهة قريش التى أقبلت بجموعها الحاشدة، حتى اطمأن إلى صدق العقيدة القتالية وخالص الولاء للدين القيم . .
ولقد قال سعد بن معاذ يومئذ :—

فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر فى الحرب، صدق فى اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا

على بركة الله.

ثانياً: مشورة الرأى حكمة، والحرب خدعة، ولذا قبل الرسول القائد مشورة الحباب ابن المنذر بن الجموح حين أشار بتغيير المنزل الذى نزله جيش المسلمين، وقال بأدب جمّ: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

كذلك قبل الرسول ﷺ مشورة سعد بن معاذ حين قال: يا نبى الله، ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام.. يا نبى الله، ما نحن بأشد لك حباً منهم ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، فيناصحونك ويجاهدون معك.

وقد بنى عريش لرسول الله ﷺ فكان فيه وذلك من باب الحرص على القائد والذود عنه لأنه يمثل أمة بأسرها أما الجندى فهو فرد من أمة.

ثالثاً: التحام القائد بجنوده وقربه منهم أمر حتمى لاكتساب النصر، وقد عدل الرسول صفوف أصحابه يوم بدر بنفسه وخرج إلى الناس وحرضهم قائلاً: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض.

فقال رجل من الأنصار: عرضها السموات والأرض؟!

قال: نعم. فقال الرجل: بخ.. بخ..

فقال له الرسول القائد: ما يحملك على قولك بخ بخ؟

قال الرجل: رجاء أن أكون من أهلها.

فقال عليه الصلاة والسلام: فأنت من أهلها.

فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن. ثم ألقى بقيتهن من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة..!!

وفى رواية: إنى لحريص على الدنيا إن جلست حتى أفرغ منهنّ.

فرمى ما فى يده، فحمل بسيفه، فقاتل حتى قتل.

رابعاً: الدعاء مخ العبادة، ودعاء المرء وقت الشدة مستجاب، والأسباب المادية وإن كانت ضرورية لا يجوز التفريط فيها، فإن استشعار القلب بالملأ الأعلى أمر حتمى لروعة النصر وجلاله، ولذا كان رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من نصر قائلاً:

« اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى..

اللهم أحنهم الغداة.. أى أهلكهم.

اللهم إن تهلك هذه العصابة - أى المسلمون - لا تعبد ».

وظل الرسول القائد يعيش بقلبه مع المعركة، ويلهج فؤاده ولسانه إلى الله فى علاه، حتى قال أبو بكر مشفقاً عليه: يا نبى الله، بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك.

وصدق الله حيث يقول: ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)** ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

هذا وقد جعل الله تعالى للمسلمين فى مواجهة عدوهم حالين أشارت إليهما الآية الكريمة: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (٦٥) الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)** ﴾ [الأنفال: ٦٥، ٦٦].

الحال الأولى: أن يثبت العشرون من المسلمين أمام المائتين من المشركين والمائة أمام الألف، وهذه عند قوة يقين المسلمين وكمال ثقتهم بالله تعالى وصدق توكلهم عليه سبحانه، فالواحد من المسلمين يقاتل عشرة من الكافرين.

الحالة الثانية: عندما يتناقص الإيمان ويستولى حب الدنيا على المسلمين جعل الله ثبات المسلمين واجباً إذا كانوا على النصف من عدوهم، فالمسلم الواحد يجب تكليفاً شرعياً أن يثبت أمام الاثنين..

وما بعد ذلك يعد فراراً من الميدان ونكوصاً عن الجهاد، وهو من أكبر الكبائر.. قال

تعالى : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) ﴾ [الأنفال : ١٦] .

والملاحظة الجديرة بالاعتبار أنه فى كلتا الحالين نجد أن المسلمين أقل عدداً من عدوهم، وما ذاك إلا لأن نصرة المسلمين إنما هى بطاعتهم لله ومعصية عدوهم له، فإذا اشتركوا فى المعصية تركهم الله وشأنهم ولم تشملهم عناية الله، فتكون الغلبة للمشركين . .

ولو أن المسلمين اليوم عقلوا هذا المعنى وصدقوا فى ولائهم لله ورسوله، لما حلت بهم النكبات . .



البحث الرابع

الرسول وليلة القدر

- العشر الأواخر.
- القــدر.
- ليلة القدر.
- سورة القدر.
- ليلتان للقدر.
- حوار صحفي.

أ - العشر الأواخر

جاء فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر » .

والمعنى : أن النبى ﷺ كان يجتهد فى عبادة الثلث الأخير من رمضان أكثر من غيره، ويشاركه فى ذلك أهل بيته الكرام . .

والمراد بقول : (أحيا الليل) : السهر فيه بالطاعة .

والمراد بشد المئزر : الاجتهاد فى العبادة واعتزال النساء، لأن هذه الفترة يعتكف فيها فلا يباشر النساء .

وقد يتساءل البعض عن العشر الأواخر من رمضان وعشر ذى الحجة أيهما أفضل؟ فقد ورد فى صحيح البخارى قول رسول الله ﷺ : « ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل منه فى هذه العشر - يعنى العشر الأوائل من ذى الحجة - قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء » .

وقد قال العلماء : إن أيام عشر ذى الحجة أفضل من أيام العشر الأخير من رمضان، لأن فى الأولى يوم النحر الذى هو يوم الحج الأكبر . ويوم عرفة، ويوم التروية .

وإن ليالى عشر رمضان أفضل من ليالى عشر ذى الحجة . لأن فى الأولى ليلة القدر وهى خير من ألف شهر .

أى أن التفضيل فى عشر ذى الحجة باعتبار الأيام، وفى عشر رمضان باعتبار الليالى .

فما أحرانا أن نستقبل هذه المناسبات الكريمة بالتوبة الصادقة، والاستقامة على الحق، والاقتداء برسول الله ﷺ .

ب - القدر

القدر هو الشرف والمنزلة.. قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، فليلة القدر هى ليلة الشرف الذى اكتسبته من نزول ملك ذى قدر هو جبريل الأمين، بكتاب ذى قدر هو القران المجيد، على نبى ذى قدر هو محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، لأمة ذات قدر هى أمة الإسلام، خير أمة أخرجت للناس.

كذلك يحصل القدر والشرف لمن يحيى هذه الليلة المباركة بما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة.

وقيل: القدر بمعنى القدر - بفتح الدال - الذى هو مؤاخى القضاء، والمعنى - كما يقول الإمام ابن حجر -: أنه يقدر فيها أحكام تلك السنة لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

وبه صدر النووى كلامه فقال: قال العلماء سميت ليلة القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأقدار، ورواه عبد الرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم.

وقال التوربشتى: إنما جاء القدر - بسكون الدال - وإن كان الشائع فى القدر الذى هو مؤاخى القضاء بفتح الدال، ليعلم أنه لم يرد به ذلك، وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء وإظهاره وتحديده فى تلك السنة لتحصيل ما يلقى إليهم فيها مقداراً بمقدار..»[1].

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى، ج٤، ص٢٥٥.

جـ - ليلة القدر

حث رسول الله ﷺ المسلمين على التماس ليلة القدر وإحيائها كي يحظى المسلم بالثواب الجزيل الذى أعده الله تعالى لعباده القائمين الصائمين . . ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وفى رواية : « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وجاءت روايات عند النسائى وأحمد تزيد (وما تأخر) .

ومعنى الحديث : أن من صام رمضام وقامه تصديقًا بوعد الله وحكمه وطلبًا للأجر والثواب، لا رياء ولا سمعة - غفر الله له ذنوبه المتقدمة، وحفظه من الذنوب المتأخرة، فلا يقع فى كبيرة، وتظل عناية الله تشمله وتسدد خطاه .

وقد التمس رسول الله ﷺ ليلة القدر فى العشر الأول من رمضان فلم يصادفها، ثم التمسها فى العشر الأوسط فلم يصادفها، وأخيراً بلغ أصحابه بوقوعها فى العشر الأخير . . بل حددها لهم بأنها فى الوتر من العشر الأخير .

ففى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ثم اعتكف العشر الأوسط فى قبة تركية على سدتها[١] حصير، فأخذ الحصير بيده فنحاها فى ناحية القبة ثم أطلع رأسه فكلم الناس فدنوا منه فقال : إنى اعتكفت العشر الأول التمس هذه الليلة ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لى إنها فى العشر الأواخر فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف .

فاعتكف الناس معه .

قال : وإنى أريتها ليلة وتر وأنى أسجد صبيحتها فى طين وماء .

فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلى الصبح، فمطرت السماء فوكف[٢] المسجد فأبصرت الطين والماء، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبينه وروثة[٣] أنفه

(١) السدة : الباب .

(٢) وكف : نزل المطر من سقفه .

(٣) روثة أنفه : طرف الأنف ويقال لها : أرنبة .

فيهما الطين والماء، وإذا هى ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر» .

ففى هذا الحديث أخبرهم الرسول الكريم بوقوع ليلة القدر فى العشر الأخير، ونبأهم بعلامة تصاحبها يومئذ وهى نزول المطر فى المسجد وسجوده ﷺ على أرض مبتلة، فيعلق من أثرها شىء على جبهته الشريفة.

وقد صدق الله رسوله الرؤيا، فهطل المطر وما كان فى السماء آنذاك سحاب، ولكن الله أيد رسوله . . ففى بعض الروايات : « فرجعنا وما نرى فى السماء قزعة، وجاءت سحابة فمطرنا حتى سال سقف المسجد وكان من جريد النخل» .

وأصبح الناس يومئذ يتحدثون عن ليلة القدر، وكانت ليلة إحدى وعشرين، ومع ذلك اختلفت الروايات واختلف العلماء فى تحديد ليلة القدر اختلافًا كثيراً . . وحكى **الإمام ابن حجر أكثر من أربعين رأيًا نختار منها ما يلى**(١) :

١ - أنها ليلة سبع وعشرين وبه جزم أبى بن كعب وحلف عليه كما فى رواية مسلم .

يقول زر بن حبيش : سألت أبى بن كعب رضى الله عنه فقلت : إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر، فقال : رحمه الله أراد أن لا يتكل الناس، أما إنه قد علم أنها فى رمضان، وأنها فى العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين.

فقلت : بأى شىء تقول ذلك يا أبا المنذر؟

قال : بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لاشعاع لها .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ ، فقال : أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة » .

وشق الجفنة نصفها، وفيه إشارة إلى أنها إنما تكون فى أواخر الشهر لأن القمر لا يكون كذلك إلا فى أواخر الشهر وهى ليلة سبع وعشرين.

٢ - أنها مختصة برمضان ممكنة فى جميع لياليه، وهو قول ابن عمر، رواه ابن أبى شيبة بإسناد صحيح عنه، وروى مرفوعًا عنه أخرجه أبو داود، وفى شرح الهداية الجزم به عن أبى حنيفة، ورجحه السبكى فى شرح المنهاج.

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى، ج٤، ص٢٦٢ .

٣ – أنها ليلة سبع عشرة من رمضان، روى ابن أبى شيبة والطبرانى من حديث زيد بن أرقم قال: ما أشك ولا أمترى أنها ليلة سبع عشرة من رمضان ليلة أنزل القرآن، وأخرجه أبو داود عن ابن مسعود أيضًا.

وأيًا ما كان، فالمسلم مطالب شرعًا بتحرى هذه الليلة والتماسها، اقتداءً برسول الله ﷺ، ويكون ذلك بالاعتكاف، والمحافظة على الجماعة فى الصلاة المكتوبة، وتلاوة القرآن، وقيام الليل، والدعاء إلى الله تعالى بخيرى الدنيا والآخرة..

ولعل فى إخفاء هذه الليلة ما يحفز المسلم إلى دوام اليقظة والمراقبة لحدود الله عز وجل.

وقد يتساءل البعض: هل لهذه الليلة علامة معينة يراها الناس؟

جاء فى صحيح مسلم أن الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها.

وفى العام الذى أخبر الرسول الكريم بالتماسها فى العشر الأخير ذكر أن من علامتها نزول المطر وسجوده فى طين وماء.. وتحقق ذلك.

ومما لا شك فيه أن الملائكة تتنزل فى هذه الليلة المباركة، ولا مانع أن تتراءى بعض أنوارها للقائمين والركع السجود.

وحكى ابن حجر[١] أن الطبرى اختار أن جميع ذلك غير لازم، وأنه لا يشترط لحصولها رؤية شىء ولا سماعه.

---

(١) فى فتح البارى، ج٤، ص٢٦٦.

د - سورة القدر

السورة السابعة والتسعون فى المصحف الشريف تسمى سورة القدر، وهى خمس آيات :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

وذكر الإمام مالك فى الموطأ أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول : إن رسول الله ﷺ أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر.

وتبدأ السورة ببيان أن القرآن العظيم بدأت نجومه تتنزل فى هذه الليلة العظيمة التى هى خير من الحياة بأسرها .

ومن تكريم الله لهذه الأمة أن الملائكة يتقدمهم جبريل الأمين ينتشرون فى الآفاق بركة ورحمة للراكعين الساجدين، وتظل هذه المنحة الإلهية حتى مطلع الفجر . .

وقد أخبر المعصوم ﷺ بتنزل الملائكة فى مواطن عدة، مثل تلاوة القرآن وحلق الذكر . .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ - كما رواه مسلم- قال : «إن لله ملائكة سيارة فضلاء يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم - : من أين جئتم؟

فيقولون : جئنا من عند عبادك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك .

قال : وماذا يسألونى؟ قالوا يسألونك جنتك .

قال : وهل رأوا جنتى؟ قالوا : لا، يا رب .

قال: فكيف لو رأوا جنتى؟ قالوا: ويستجيرونك.

قال: ومم يستجيرونى؟ قالوا: من نارك يا رب؟

قال: وهل رأوا نارى؟ قالوا: لا.

قال: فكيف لو رأوا نارى؟ قالوا: ويستغفرونك.

فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا.

يقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم.

فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

هذا وقد ذكر بعض العلماء فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أن للقرآن تنزلين جملة واحدة قبل بدء نزوله على قلب سيدنا محمد ﷺ.

الأول: التنزل إلى اللوح المحفوظ، واستدل بقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

الثانى: التنزل إلى بيت العزة فى السماء الدنيا، واستدل بأحاديث موقوفة على ابن عباس، منها: فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبى ﷺ.

وفى الحق فإن التنزل الأول لا يخص القرآن وحده، وشأنه فى ذلك شأن سائر ما علمه الله تعالى وسجله فى اللوح المحفوظ، وأشارت إليه الآية الكريمة: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

والآية الأخرى: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

أما التنزل الثانى إلى بيت العزة فليس فيه حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ، وحقائق الغيب لا يكفى فيها مثل هذه الأحاديث الموقوفة.

هـ - ليلتان للقدر

إن تتبع الأحاديث الواردة فى ليلة القدر وتحديدها وأقوال العلماء يجعلنا نتساءل: هل ليلة القدر التى أحياها الرسول ﷺ وأمر المسلمين بإحيائها هى الليلة التى التقى فيها الرسول بالملك جبريل على قمة جبل النور فى غار حراء؟!

إننى أرى أن هناك فرقًا بين ليلة القدر التى نزل فيها قوله تعالى: ﴿ اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾، وبين ليلة القدر التى التمسها الرسول بمزيد العبادة والنسك..

فالأولى معلومة على وجه اليقين أو الظن الغالب، فهى الليلة التى كان فيها الرسول متحنثًا فى غار حراء حتى فجأه الوحى، وهى الليلة السابعة عشرة من رمضان - على التحقيق - ولها من الملابسات والآثار النفسية والاجتماعية ما لا يعقل معه نسيانها..

وأما الثانية فهى ليلة ثواب تفضل الله به على القائمين والركع السجود، وهى دائرة فى ليالى الوتر من العشر الأخير من رمضان، ولا تعلم على وجه التحديد.

ودليلنا ما يلى:

أولاً: إن الأحاديث الصحيحة تصرح بأن الرسول ﷺ التمس ليلة القدر فى العشر الأول من رمضان ثم الأوسط ثم الأخير، وليس معقولاً أن يكون التماسه ﷺ لليلة غار حراء، فقد شاع خبرها بين أهل بيته والسابقين فى الإسلام، وترتب عليها من جلائل الأعمال وعظائم الأمور ما لا يجعلها تنسى.

ثانيًا: إن الرسول ﷺ أخبر أنه رآها فى المنام ونسيها عندما استيقظ أو عندما اختصم إليه رجلان..

ففى صحيح مسلم قال: «أريت ليلة القدر ثم أيقظنى بعض أهلى فنسيتها فالتمسوها فى العشر الأواخر».

وفى صحيح البخارى قال: خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرًا لكم، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة).

فدل ذلك على أنها شىء آخر غير ليلة الغار، لأن ليلة الغار لا تحتاج إلى إخبار إلهى أو

رؤيا منامية، فهى واقع له آثار كبرى شاهدة.

ثالثًا: إن رجالا من الصحابة رأوا فى المنام ليلة القدر وحددوها بأنها ليلة سبع وعشرين، وأخبروا رسول الله ﷺ بذلك.

ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر».

فدل ذلك على أنها ليلة أخرى غير ما تعارف عليه الناس، إذ السابقون فى الإسلام وبخاصة أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب وغيرهم يدركون متى عاد الرسول من غار حراء..

رابعًا: إن خلاف العلماء بين رفعها وإثباتها، وبين بقائها ودورانها، يؤكد أن ليلة القدر شىء آخر غير ليلة غار حراء، فليلة القدر التى يلتمسها المسلمون هى ليلة ثواب تفضل الله به على من يشاء من عباده..

وعندما ساق الإمام ابن حجر أقوال العلماء فى ليلة القدر واختلافهم إلى أكثر من أربعين رأيًا - كان القول الأول: أنها رفعت أصلاً، وكان القول الثانى أنها خاصة بسنة واحدة رفعت فى زمن رسول الله ﷺ، وكان القول الرابع أنها ممكنة فى جميع السنة، وكان القول الخامس أنها مختصة برمضان ممكنة فى جميع لياليه..

وهذا كله يؤكد أن ليلة الغار غير ليلة القدر التى أمرنا بتحريها..

وعلى هذا فهناك ليلتان للقدر:

ليلة قدر نزل فيها: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾.

وليلة قدر منحها الله لعباده كى يكتسبوا مزيد فضل ونعمة.

حوار صحفي

نشرت صحيفة المدينة السعودية بتاريخ ٢٥ من رمضان سنة ١٤١٧ هـ حوارا معى تحت هذا العنوان:

أستاذ العقيدة فى جامعة أم القرى يوضح الفرق بين الليلتين

ليلة القدر ليست هى الليلة التى نزل فيها القرآن على الرسول فى الغار..

وبتاريخ ٧ من شوال سنة ١٤١٧ هـ نشرت الصحيفة مداخلة تحت هذا العنوان:

أستاذ دار الحديث بمكة يعقب على أستاذ العقيدة بأم القرى

عفواً يا شيخنا.. ليلة القدر ليست ليلتين، ونسيانها عند الرسول جائز..

وكان هذا التعقيب من الشيخ سيد عبد العال الأستاذ بدار الحديث الخيرية بمكة.

وبتاريخ ١٤ من شوال سنة ١٤١٧ هـ نشرت الصحيفة تعليقا لى تحت هذا العنوان:

مؤكدا أنها ليست جولات مصارعة.. الدكتور المسير:

ما زلت عند رأيى ودليلى.. ليلة الغار ليست هى ليلة القدر..

وقد آثرت أن ألحق هذا المقال وما تلاه من تعقيب وتعليق بهذا الكتاب منفعة للقارئ الكريم..

حول ليلة القدر

للدكتور محمد المسير

مفهوم القدر

القدر – على ما نختاره – هو الشرف والمنزلة السامية والمكانة الرفيعة، ومفهوم الشرف تابع للمراد بالليلة..

ونحن نرى أن ليلة القدر ليلتان:

١– ليلة غار حراء التى التقى فيها جبريل برسول الله ﷺ ونزل فيها قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق.. »

ويمكن أن نسميها ليلة القرآن أو ليلة الغار، وهى بحق ليلة قدر، نزل فيها ملك ذو قدر هو جبريل الأمين، بكتاب ذى قدر هو القرآن المجيد، على نبى ذى قدر هو محمد سيد ولد آدم، لأمة ذات قدر هى أمة الإسلام، خير أمة أخرجت للناس..

٢– ليلة العبادة التى تفضل الله بها على أمة الإسلام، فجعل العبادة فيها تعدل ثواب العبادة فى ألف شهر، وحفها بمزيد التكريم فكانت سلاما عاما، تتنزل فيها الملائكة يلقون السلام ويشيعون البركة على كل مسلم يذكر الله جل جلاله..

الفرق بين الليلتين

ليلة القرآن أو ليلة الغار معلومة على وجه اليقين أو الظن الغالب، فهى الليلة التى كان سيدنا محمد ﷺ متحنثا فى غار حراء حتى فجأه الوحى وضمه جبريل وقال له اقرأ، ورجع الرسول إلى زوجه السيدة خديجة يقول لها زملونى.. زملونى..

فهى ليلة لها من الملابسات والآثار النفسية والاجتماعية والتاريخية ما يجعلها فى بؤرة الشعور دائما ولا يعقل نسيانها أو خفاؤها..

وهذه الليلة عند المحققين هى ليلة السابع عشر من شهر رمضان فى السنة الحادية والأربعين لميلاد المصطفى ﷺ، الموافق السادس من شهر أغسطس للعام العاشر، بعد المائة السادسة لميلاد المسيح عليه السلام.

فهى ليلة تاريخية لا تتبدل ولا تنتقل ولا تدور..

أما ليلة العبادة فهى ليلة كافأ الله بها أمة محمد ﷺ وخصها بمزيد الثواب وهى التى جاءت الآثار بالتماسها وتحريها، وهى التى دار حولها الخلاف بين العلماء..

دلائل الفرق بين الليلتين

١- جاء فى أسباب النزول روايات منها :

قول الإمام مالك فى الموطأ « بلغنى أن رسول الله ﷺ تقاصر أعمار أمته عن أعمار الأمم الماضية فاعطاه الله ليلة القدر.

وأخرج ابن أبى حاتم والواحدى عن مجاهد : أن رسول الله ﷺ ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله « إنا أنزلناه فى ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر » أى التى لبس ذلك الرجل السلاح فيها فى سبيل الله.

فدلّ سبب النزول على أن ليلة العبادة منحة إلهية وعطاء لاحق حدث بعد ليلة الغار..

٢- إن الأحاديث النبوية الواردة فى شأن ليلة القدر كلها فى ليلة العبادة وليس فى ليلة الغار..

ففى صحيح البخارى :

« تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان »

« وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها فالتمسوها فى العشر الأواخر »

« من كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر ».

وفى صحيح مسلم :

« إنى اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة ثم اعتكفت العشر الأوسط ثم أوتيت فقيل لى إنها فى العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف، فاعتكف، فاعتكف الناس معه »

فالتحرى والالتماس والاعتكاف ليس بحثا عن ليلة الغار، وليس محاولة لمعرفة متى كانت، وإنما يعقل التحرى والالتماس والاعتكاف لليلة جديدة أخفاها الله تعالى، هى ليلة العبادة..

فإن السبيل لمعرفة ليلة الغار والقرآن أن يسأل أهل بيته ومن آمن معه من السابقين

في الإسلام . .

٣- ساق البخاري في صحيحه في كتاب الصوم بابا بعنوان :

« تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر »

وقال شارحه ابن حجر:

في هذه الترجمة إشارة إلى رجحان كون ليلة القدر منحصرة في رمضان ثم في العشر الأخير منه ثم في أوتاره، لا في ليلة بعينها، وهذا هو الذي يدل عليه مجموعة الأخبار الواردة فيها.

ثم ساق البخاري بابا آخر بعنوان :

رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس

واستدل بالحديث الشريف « خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن تكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة »

فهذا يؤكد الفرق بين ليلة الغار والقرآن وبين ليلة العبادة، فإن ليلة الغار ليلة بعينها، محددة بوقت خاص لايزول ولا يحول، لأنه حدث ارتبط بزمن فلا يرفع.

أما ليلة العبادة فهي التي قد تخفى، وقد يعلمها الرسول برؤيا منامية فإذا استيقظ نسيها لصارف شغله كما حدث من الشجار بين الخصمين المذكورين في الحديث.

٤- ذكر الإمام ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري أن للعلماء أكثر من أربعين رأيا في ليلة القدر.

منها أنها ممكنة في جميع السنة، ومنها أنها مختصة برمضان ممكنة في جميع لياليه، وما من ليلة من ليالي رمضان إلا وقال بها بعض العلماء، وذهب ابن العربي إلى أنها لا تعلم . .

ودخلت المسألة مدخلا غير صحيح شرعا، فنسب إلى ابن عباس أنها ليلة سبع وعشرين اعتمادا على أن كلمة « هي » في سورة القدر سابع كلمة بعد العشرين، وقيل إن ذلك من ملح التفسير وليس من يقين العلم .

وأقول إن هذا ليس دليلا يعتد به شرعا ثم إنه خطأ من حيث اللغة، لقد عَدّ « إنا »

كلمة مع أنها كلمتان: إن والضمير، وعَدّ «أنزلناه» كلمة مع أنها ثلاث كلمات: الفعل الماضى «أنزل» والفاعل ضمير المتكلم والمفعول ضمير الغائب..

ثم أتساءل: هل خلاف العلماء هنا حول ليلة القدر وهذه الكثرة من الآراء كانت تبحث عن معرفة ليلة الغار وتحديد ليلة القرآن؟!

لا أظن أحدا من العلماء يقول بذلك، وإن الذى لم يتنبه إليه الباحثون قديما ولا حديثا هو أن الخلاف حول ليلة القدر إنما هو خلاف حول ليلة العبادة التى امتن الله بها على أمة الإسلام..

أما ليلة القرآن والغار فقد وقع فيها حدث عظيم وارتبطت بمواقف لا تنسى، واجتمع لها من الأسباب ما يجعلها محل الحفظ والتذكر دائما.

حكمة إخفاء ليلة العبادة

لعل فى إخفاء ليلة العبادة ودورانها ما يحفز المسلم إلى دوام اليقظة والمراقبة لحدود الله، واتصال القلب بالملأ الأعلى..

وقد أخفى الله أشياء فى أشياء لحكمة، فأخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة ليعم الدعاء اليوم كله، وأخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات لتؤدى كلها، وأخفى لحظة الموت لتعمر الحياة كلها بالتوبة والعمل الصالح.. وهكذا فلسنا مكلفين بمعرفة وتحديد القدر، فهذا تدقيق ليس وراءه تحقيق، وبحث لا يصل إلى يقين، وجهد لا يؤدى إلى فائدة..

علامات ليلة العبادة

ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضى، منها فى صحيح مسلم أن الشمس تطلع فى صبيحتها لا شعاع لها..

وقيل إن لها أنوارا معينة أو أن المسلم يسمع سلاما أو خطابا من الملائكة.. وهذا لا نعول عليه كثيرا والعبرة بالاستقامة والطهر والنقاء، والله يختص برحمته من يشاء..

إحياء ليلة القدر

المسلم مطالب شرعا بتحرى ليلة القدر والتماسها اقتداء برسول الله ﷺ ويكون ذلك بالاعتكاف والمحافظة على الجماعة فى الصلوات الخمس، وتلاوة القرآن وقيام الليل وكثرة الاستغفار والابتهال إلى الله تعالى بخيرى الدنيا والآخرة..

تعقيب للشيخ سيد عبد العال

عفواً يا شيخنا .. ليلة القدر ليست ليلتين ونسيانها عند الرسول جائز

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

إننى أعلم من نفسى عجزى وقلة حيلتى فعلمى يسير وقلمى كليل وبضاعتى مزجاة وأرجو من العلى القدير التوفيق والسداد فى جميع الأمور إنه نعم المولى ونعم النصير والتمس العذر من القارئ الكريم ومن فضيلة شيخنا الجليل الدكتور محمد أحمد المسير والله من وراء القصد وهو حسبى ونعم الوكيل: فضلا شيخنا الكريم إننى استسمحك فى النزول لميدان التعليق على ما كتبته فضيلتكم فى جريدة (المدينة) الغراء فى يوم الاثنين الموافق ٢٥ رمضان ١٤١٧هـ تحت عنوان (ليلة القدر ليست هى الليلة التى نزل فيها القرآن على الرسول فى الغار) وأقول مستعينا بالمولى جل وعلا: آسف يا فضيلة الشيخ لطفا نحن نعلم أن القرآن نزل فى شهر رمضان ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال تعالى ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ** ﴾ [الدخان: ٣] وهذه الليلة هى ليلة القدر وقال تعالى ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ فهذه الآيات اتت على هذا العنوان فنسفته نسفا والحمد لله بفضله تتم هذه الجولة الأولى.

ثم تفضل سماحتكم يا شيخنا بقولكم (ونحن نرى أن ليلة القدر ليلتان) عفوا شيخى بارك الله لنا ولكم فإننى على حد علمى لم أسمع بهذا عن السابقين أو اللاحقين فمن سلف شيخنا فى ذلك؟! ومن الذى فرق هذه التفرقة؟!! ومن الذى سمى الليلة الأولى ليلة القرآن أو الغار والليلة الثانية ليلة العبادة؟!! فهذا التقسيم يخالف صريح القرآن ومتن الأحاديث الصحيحة بل والتى هى فى أعلى درجات الصحة للمعصوم ﷺ وكتب الحديث والتفسير واللغة والسير.. فكل هذه المصادر بالاستقراء كما تفضلتم تقول ليلة القدر ولم يقولوا ليلتى القدر وإننى أعجب يا شيخنا وأسأل هل تكرس كل الجهود لليلة العبادة وتلقى ليلة القرآن فى تابوت النسيان وتهمل بالكلية فى جميع المصادر؟! والسلف والخلف وعلماء الأمة قديما وحديثا على مدى عمر الأمة المديد إلى يومنا هذا يتحدثون عن قضاء الحاجة مثلا والاستنجاء والاستجمار والحيض والنفاس وأضراب ذلك ويفردون له أبوابا فى مصنفاتهم ويهملون عن عمد ليلة القرآن بالكلية فلا يتحدث عنها أحد كما تفضلتم.. أليس هذا ظلما للسلف والخلف وللأمة المرحومة؟!

ثم إنه ليس كل خلاف معتبرا إلا ما كان فيه نص أو أثر فما هو الدليل والبرهان على ذلك؟! وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى فى الفتنة يقول :«آتونى بآية من كتاب الله أو بحديث من أحاديث رسول الله ﷺ » فلابد لفصل النزاع أن نرده إلى الكتاب والسنة وندلل عليه بآية صريحة أو بحديث صحيح فكل إنسان كائنا من كان يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر كما قال الإمام مالك رضى الله عنه.. وهل قال بهذا القول الفقهاء والصحابة وسلف الأمة والعلماء العاملون؟!

فالقرآن فيه سورة سميت بسورة القدر وليست بسورة القدرين!

وفى هذه الصورة جاءت الليلة مفردة فى قوله تعالى ﴿ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ولم يقل ليلتى القدر، ثم (فيها) ولم يقل فيهما وقوله (هى) ولم يقل هما. ويا شيخنا الكريم احسن الله لنا ولكم المثوبة وحسن القصد اللهم آمين قلتم ليلة القرآن الكريم أو الغار وليلة العبادة وإننى اطرح سؤالا إن سلمنا جدلا بهذه التفرقة فما هو الاسم الذى تحمله تلك السورة؟ قرآن وغار أو عبادة!

فصدر السورة يتحدث عن ليلة القرآن ونهايتها تتحدث عن ليلة العبادة. فلو قلنا تتحدث عن ليلة القرآن إذن اهملنا نهاية السورة عن عمد وكيف نفسرها؟! ولو قلنا تتحدث عن ليلة العبادة أهملنا بداية السورة وكيف تأويل السورة كاملة؟! ولو قلنا السورة تتحدث عن الليلتين فقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ هذه ليلة القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ قال الشوكانى (هذا الاستفهام فيه تفخيم لشأنها) وأقول هذا السؤال عن ليلة القرآن السابقة للسؤال والإجابة على هذا السؤال وهى ليلة القدر خير من ألف شهر.. إجابة على الليلة السابقة ومثال ذلك ﴿الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾، ﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، ﴿وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا﴾.

محمد وما أدراك ما محمد نبى هذه الأمة، فالمسئول عنه محمد ﷺ والسؤال عنه والاجابة على السؤال ولا يصح قولى محمد وما أدراك ما محمد أرسل إلى مدين.. وقال ابن عيينة ما كان فى القرآن ما أدراك فقد أعلمه وما قال وما يدريك فإنه لم يعلم.

إذن يا فضيلة شيخنا تبين لنا أن القسمة والتعدد لليلة القدر لا يسمن ولا يغنى من

جوع وهى ليلة واحدة وتلك إذا قسمة ضيزى وهذا هو المسطر فى جميع مراجع الأمة ومدون فى كتبها قاطبة ونطق به القرآن والحديث والفقه والسير وانظر فضيلتكم مثلا أضواء البيان ٩ / ٣٧٩ وفتح القدير ٥ / ٤٧١ وأسباب النزول ٤٨٦ والمراغى ١٠ / ٢٠٦ وفتح البارى ٤ / ٣٣٠ وابن كثير ٤ / ٥٦٢ والقاسمى ١٧ / ٢١٤ وابن عباس ٢ / ٩٨٥ والظلال ٦ / ٣٩٤٤ والقرطبى ج٢٠ / ٨٨ والطبرى ١٢ / ٦٥١ وأيسر التفاسير ٥ / ٥٩٧ والنسفى ٢ / ٨٢٢ وحاشية الصاوى ٤ / ٣٣٦ ومصنف عبد الرزاق ٤ / ٢٤٦ ومسلم بشرح النووى ٨ / ٨٢ ومباحث فى علوم القرآن ١٠٠ وتخريج الأحاديث المدونة ٢ / ٧٢٧ والمراجع كثيرة جدا وهذا غيض من فيض فما سمعنا بهذا أبدا. وبأى قرينة فرقنا بين الليلتين وإن كان هذا اجتهادا من سماحة شيخنا فهل يوجد اجتهاد مع نص؟!

وهذه هى الجولة الثانية ولله الحمد والمنة فقد دكت الأدلة هذه التفرقة وخر عليها السقف من فوقها وأصبحت هباءا منثورا.

قال شيخنا حفظه الله ووفقنا وإياه لعمل الخير وقول الحق اللهم آمين: جاء فى أسباب النزول.. فذكر حديثين الأول حديث الموطأ وقول مالك بلغنى أن رسول الله ﷺ تقاصر أعمار أمته.. قال الدكتور الطاهر محمد الدرديرى فى تخريج أحاديث المدونة هذا الحديث بهذا السند حديث ضعيف لأنه منقطع ولم نقف عليه موصولا ولا أخرجه أحد غير مالك فى الموطأ انظر تخريج المدونة ٢ / ٧٢٩ وحديث ابن أبى حاتم والواحدى عن مجاهد أن رسول الله ﷺ ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر.. قال كمال بسيونى زغلول فى تخريج أسباب النزول: مرسل، إذن الحديثان لا يحتج بهما ولله الحمد والمنة.

قال شيخنا أجزل الله لنا وله المثوبة آمين فهى ليلة لها من الملابسات والآثار النفسية والاجتماعية والتاريخية ما يجعلها فى بؤرة الشعور دائما ولا يعقل نسيانها أو خفاؤها هكذا قال رحمنى وإياه الله وأقول مستعينا بالمولى جل وعلا: هذا الكلام غير مسلم به أن نحكم بالعقل على الشرع.. فأين الدليل على استحالة نسيان تلكم الليلة؟! ألم ينس النبى ﷺ فى الصلاة.. وقصة ذى اليدين مشهورة وصحيحة فهو ﷺ يصلى كل يوم خمس صلوات ورغم أهمية الصلاة وتكرارها نسى ﷺ لأنه بشر ولكن الشرع بفضل الله وكرمه محفوظ والدين حفظه المولى جل وعلا وإن أى رسول بشر يقع منه ما يقع من البشر ولكن يجب علينا الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر وأما الصغائر فقد تقع منهم ولكن لا يقرون عليها بل يوفقون للتوبة. وقد قال جل وعلا عن آدم ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ

من قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه:١١٥] ونسى موسى ويوشع بن نون عليهما السلام﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [الكهف:٦١] وعن يوشع ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ [الكهف:٦٣] وقال موسى للخضر ﴿ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [الكهف:٧٣] وقال تعالى للنبى ﷺ ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف:٢٤] وقال ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الاعلى:٦] ونفى النسيان عن نفسه جل وعلا فى جواب موسى على فرعون﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴾ [طه:٥٢] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم:٦٤] وقال عن نبينا ﷺ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨] فالأنبياء يقع منهم النسيان لكن بعيد عن التبليغ وذلك لحفظ الشرع والرسالة فكيف يعقل أن يأمر بالتبليغ لشىء قد نسيه؟! وقد قال رسول الله ﷺ فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه فى السهو :(إنما أنا بشر مثلكم انسى كما تنسون) وقد بوب البخارى باب نسيان القرآن.. وقول الله تعالى «سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله» وقال عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمع النبى ﷺ رجلا يقرأ فى المسجد فقال: يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية من سورة كذا.. الحديث نظم ٥٠٣٧ انظر الفتح ٩ / ١٠٤.

وقال الحافظ إن الله أخبره أنه لا ينسى ما أقرأه إياه وعن الحسن وقتادة إلا ما شاء الله اى قضى أن ترفع تلاوته وعن ابن عباس إلا ما أراد أن ينسيكه وقال الحافظ الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبى ﷺ فيما ليس طريقه البلاغ مطلقا وكذا فيما طريقه البلاغ لكن بشرطين أحدهما أنه بعدما يقع منه تبليغه والآخر أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكره إما بنفسه وإما بغيره انظر الفتح ٩ / ١٠٦ والله تعالى ينسى من أراد له النسيان﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر:١٩]. وقال تعالى﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾ [البقرة:١٠٦] فأقول بحول الله وقوته إنها ليلة واحدة ولا نخصص العام أو نقيد المطلق إلا بدليل.

ولحكمة عظيمة رفعها الله ونسيها الرسول ﷺ ففى فتح البارى الحديث رقم ٢٠١٦ قال «إنى أريت ليلة القدر ثم انسيتهاأو نسيتها» انظر الفتح ٤ / ٣٢٢ قال الحافظ: شك من الراوى هل أنساه غيره إياها أو نسيها هو من غير واسطة، وفى الحديث ٢٠١٨ وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها» البخارى وفى الحديث رقم ٢٠٢٣ عن عبادة بن الصامت قال خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال خرجت

لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم» فليس مستبعدا أن ينساها النبى ﷺ أو ينسيها الله له لحكمة يريدها جل وعلا وهو أحكم الحاكمين.

الجولة الأخيرة قولكم يا فضيلة الدكتور غفر الله لنا ولكم: إن الذى لم ينتبه إليه الباحثون قديما ولا حديثا هو أن الخلاف حول ليلة القدر إنما هو خلاف حول ليلة العبادة التى امتن الله بها على أمة الإسلام.. فإذاكانت فى ليلة العبادة على حد قولكم منحة للأمة فليلة القرآن أعظم المنح والمنن لنزول الذكر الحكيم فيها.. وإننى أشم اعتراف فضيلتكم بأن هناك إجماعا قديما وحديثا وفى قولكم إن الذى لم ينتبه إليه الباحثون قديما ولا حديثا.. يعنى إنه لم يقل بهذا القول واحد ولم يوجد مخالف واحد.

يا شيخنا الفاضل ألم يقل الحق سبحانه وتعالى﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [النساء:١١٥].

إن الأمة لا تجتمع على باطل وقد روى الترمذى رحمه الله أن النبى ﷺ قال :(لا تجتمع أمتى على ضلالة) وهو حسن لغيره.

وأخيرا اللهم اجعل ما كتبت بردا وسلاما، وكنت آمل أن نبحث فى قضايا هامة يحتاج إليها المسلمون لا ليتشكك فيها المتشككون ويسعنا فى مثل هذه ما وسع السلف الصالح فهم أغزر علما وأتقى ربهم وانفذ بصيرة وأطهر قلوبا رضى الله عنهم أجمعين.

هذا ما تيسر والله أعلى وأعلم فإن وفقت للحق فمن ربى جل وعلا وإن أخطأت فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه وحسبى أننى بذلت الوسع والحمد لله أولا وآخرا.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد..

الشيخ سيد عبد العال

الأستاذ بدار الحديث الخيرية بمكة

تعليق على تعقيب حول ليلة القدر
للدكتور محمد المسير

أحب شيء إلى العلماء هو البحث العلمي والحوار العقلي الهادف، ويعلم الله أنى ما طرحت رأيا، ولا قدمت فكرة إلاو أحببت أن يدور حولها حوار يصل بنا إلى الحق . .

وعندما قامت صحيفة « المدينة » الغراء بإجراء حوار معى حول ليلة القدر قلت لمراسلها الأخ الفاضل عماد المهدى :

إن لى رأيا أرجو أن يكون موضوعا للمناقشة والحوار على صفحات « المدينة » الغراء، فإنى أريد أن أطمئن إلى ما ذهبت إليه . .

وهذا الرأى قيل فى مناسبته ونشر فى وقته، وهو العشر الأخير من شهر رمضان المبارك، ويحتاج إليه المسلم فى زاده الروحى والعقدى . . وقد سبق أن طرحت هذا الرأى منذ أكثر من عشر سنين فى كتابى « الرسول ﷺ فى رمضان »، وناديت به فى كل وسائل الإعلام . .

وعندما علمت أن الأخ الكريم فضيلة الشيخ سيد عبد العال قام بالتعليق على الحوار الصحفى معى الذى نشر بتاريخ ٢٥ من رمضان سنة ١٤١٧ هـ- فرحت فرحا شديدا، لأن الحكمة ضالة المؤمن . .

ولما قرأت التعليق لم أجد ما ينقض دليلا، ولا ما ينبه إلى غائب، ولا ما يذكر بمنسى . .

وانتهيت إلى أن رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب، وبالتالى فلا يزال رأينا هو الرأى، ودليلنا هو الدليل، ولا يزال شعارنا قول الله تعالى « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » ؟!

وما على الأخ الكريم فضيلة الشيخ سيد عبد العال إلا أن يراجع ما كتبت، ويتأمل ما أردت، ويتفحص ما قلت . . ولى بعض الملاحظات المنهجية المتعلقة بكيفية الحوار وضوابطه وما يجب أن يكون عليه . .

فمن خلال التعليق المنشور فى صحيفة « المدينة » الغراء بتاريخ ٧ من شوال سنة

١٤١٧هـ أنبه إلى ما يلى :

أولا : افتعل فضيلة الشيخ سيد عبد العال معركة، وصور لها ميدانا، وحدد لها جولات، وكان هو الخصم والحكم فيها، ومنح نفسه قدرة النسف والدك والهدم.. فقال :

فهذه الآيات أتت على هذا العنوان فنسفته نسفا، والحمد لله بفضله تتم هذه الجولة الأولى.

وقال : وهذه هى الجولة الثانية ولله الحمد والمنة فقد دكت الأدلة هذه التفرقة، وخر عليها السقف من فوقها وأصبحت هباء منثورا. وكأن فضيلة الشيخ فى مباراة للمصارعة أو الملاكمة، ويبدو- والله أعلم- أن الشيخ مغرم بمشاهدة رياضة العنف..!!

يا أخى الكريم : أين هذا من قول الله تعالى لرسوله ﷺ فى حق المشركين والكافرين :« تعالوا إلى كلمة سواء »، « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين »

ثانيا : إن فضيلة الشيخ سيد عبد العال نسى أن للصحافة فنًا فى الإخراج ومخاطبة القارئ الكريم.. فعنوان الحوار الصحفى معى ليس من اختراعى، وإنما هو من وضع الصحيفة كى تشد القارئ إلى هذا الموضوع المهم فيقرأه بإمعان وروية..

وأظن أن عنوان تعليق الشيخ كما نشر ليس من اختراعه أيضا، وإنما هو من وضع السادة المشرفين على الصفحة- جزاهم الله خيرا.. فيا أخى الكريم دعك من العنوان، واترك الصحافة تؤدى رسالتها وعليك بلب الموضوع وجوهره..

ثالثا : ألح فضيلة الشيخ فى طرح سؤاله التالى :

هل قال بهذا القول الفقهاء والصحابة وسلف الأمة والعلماء العاملون؟ وأقول : رفقا أيها الأخ الكريم، إن باب الاجتهاد بضوابطه الشرعية مفتوح إلى يوم القيامة.. وما كان عطاء ربك محظورا.

ولو أن أحدا سبق بهذا القول، ما كان رأيا لى واجتهادا، ومانسبته إلى نفسى، فمن بركة العلم نسبته إلى قائله..

ولو وقف كل عالم مجتهد على ما قاله الأول ما تعددت الاجتهادات ولا تنوعت المذاهب، وإذا كان الله قد فتح على الأول فهل بيدك مفاتيح خزائن الله؟!

إن الذى أعدى الأول هو الذى يعدى الثانى، وإن الذى فتح على السلف هو الذى يفتح على الخلف..!!

وقد أعوز الشيخ تفسير سورة القدر، وأخذ يقلب الوجوه حول بدايتها ونهايتها، ووصف رأينا بالتفرقة بين ليلة القرآن والغار وليلة العبادة والقيام بأنها قسمة ضيزى ولا تسمن ولا تغنى من جوع.

وأقول: هون على نفسك أيها الشيخ فإن مشروعية صيام شهر رمضان وقيام لياليه وتحرى ليلة القدر إنما كانت فى العهد المدنى، وسورة القدر سورة مكية تتحدث عن ليلة القرآن والغار، وبدايتها ونهايتها تمجيد لهذه الليلة وتكريم، فهى خير من ألف شهر، والعدد هنا مراد به التكثير، فهى خير من الزمان بأجمعه، وعبرّ القرآن عن تنزل الملائكة والروح بالفعل المضارع بدلا من الماضى لاستحضار الصورة الروحانية لتلك الليلة المباركة..

ومن المعلوم أن الوحى عندما يتنزل على الأنبياء تصحبه الملائكة تحرسه وتزفه كما قال تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٨].

وليلة القرآن والغار هى ليلة السلام والإسلام، بها انشق الصبح وطلع الفجر..

رابعا: إن ألف، باء الحوار هى تحديد محل النزاع، حتى لا تتشعب المسائل، ولكن فضيلة الشيخ تكلم فى عموميات وخاض فى مسلمات وأطال فيما لا خلاف حوله..

وعلى سبيل المثال فقد ساق الشيخ آيات كريمة تثبت أن القرآن المجيد نزل فى شهر رمضان وفى ليلة القدر، ونسى أو تناسى أن هذه الآيات بعينها قد جاءت فى صدر الحوار معى حول ليلة القدر.. وأن هذه المسألة لا خلاف حولها ولا نقاش فيها.

كذلك أطنب الشيخ فى الاستدلال على جواز نسيان النبى ﷺ والأنبياء من قبله.. وهذه أيضا ليست هى محل النزاع، ثم إن إثبات العام لا يثبت الخاص كما هو مقرر فى أصول البحث والمنطق، فإذا قلنا - مثلا- إن زيدا من الناس عربى فليس يلزم أن يكون سعوديا، بل قد يكون مغربيا أو كويتيا..

خامساً: إن الطامة الكبرى هو فهم الشيخ لرأينا بأنه شقاق لله ورسوله، واتباع لغير سبيل المؤمنين، وخروج على إجماع الأمة..

وأقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.. إذا كنا نحن العلماء نتقاذف بهذه التهم فماذا أبقيت أيها الشيخ للعلمانيين وفلول الفكر الماركسي؟! وأرجو من الشيخ أن يعيد قراءة الآية الكريمة «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا» وليرجع إلى تفسيرها في مكتبته العامرة، كما أرجوه أن يقرأ في كتب أصول الفقه ليرى مفهوم الإجماع وضوابطه وحجيته..

اللهم اهدنا إلى الحق واشرح صدورنا له..

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات..

اتضح لى بعد ذلك أن فريقاً من العلماء يرى أن سورة القدر مدنية، وهذا يؤكد كثيراً ما ذهبنا إليه، ويراد بليلة القدر فى السورة ليلة العبادة الممنوحة من الله تعالى لهذه الأمة، ولا علاقة لسورة القدر بليلة الغار، ويكون مرجع الضمير فى «أنزلناه» إلى النص القرآنى المنزل فى هذه السورة، كما قال تعالى فى مفتتح سورة النور «سورة أنزلناها».

ويكون المعنى إنا أنزلنا هذا النص القرآنى أو هذا الجزء القرآنى فى شأن ليلة القدر، التى هى ليلة العبادة.

ولعل سبب النزول الذى سبق ذكره يرجح أن السورة مدنية، وقد ذكر البيضاوى فى تفسيره أن سورة القدر مختلف فيها، وساق الشيخ زاده فى حاشيته على التفسير أنه قيل إن سورة القدر أول سورة نزلت بالمدينة، ولم يذكر الشيخ هبة الله فى كتابه الناسخ والمنسوخ إلا أن سورة القدر مدنية وليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

البحث الخامس

مع القرآن فى شهر القرآن

- اللقاء الأول للوحى.
- اللقاء الأخير للوحى.
- المعجزة الكبرى.
- تذوق البيان القرآنى.
- ترجمة القرآن.
- تلاوة القرآن
- تعلم القرآن وتعليمه
- شفاعة القرآن
- شفاعة سورتى البقرة وآل عمران
- شفاعة سورة الملك
- شفاعة قارئ القرآن

اللقاء الأول للوحى

هيأ الله تعالى رسوله محمداً ﷺ لتلقى الوحى، فلم يصبه شىءمن سفاح الجاهلية، واشتهر فى قومه بأنه الصادق الأمين، ووقعت إرهاصات كثيرة قبل بعثته، مثل حفظ الكعبة من هجمة الأحباش، وبركته عند حليمة السعدية، وتنبؤات الراهب بحيرا، وما رآه ميسرة خلال رحلة التجارة إلى الشام.. وغير ذلك كثير.

ولكن السيدة عائشة رضى الله عنها تحدثنا عن الإعداد النهائى قبيل تلقى الوحى، فتقول كما فى صحيح البخارى.

(أول ما بدئ به ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء).

لقد مكث الرسول ﷺ الستة أشهر الأخيرة لا يرى رؤيا إلا تحققت كما رآها. وكان ﷺ يتعبد فى غار حراء، وهو كهف بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال.

وعبادة الرسول قبيل البعثة كانت خلوة واعتزالا لباطل قومه ووثنيتهم، وكانت فكراً وتأملا فى ملكوت السموات والأرض، وكانت نظراً إلى الكعبة المشرفة من قمة جبل النور فى محاولة لاستنطاق التاريخ عن قيمة هذا البيت العتيق وقيمه، كما كانت عبادته ﷺ إطعامًا للمساكين..

ويروى ابن إسحق أن رسول الله ﷺ كان يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به – إذا انصرف من جواره – الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعًا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته.

وهذا الشهر الذى اختاره الرسول الكريم للتعبد هو شهر رمضان كله أو بعضه.

وفى اليوم السابع عشر من شهر رمضان للسنة الحادية والأربعين لميلاد المصطفى ﷺ، الموافق السادس من شهر أغسطس سنة عشر وستمائة لميلاد المسيح عليه السلام، كان يوم الوحى الأول ومجئ الحق ولقاء جبريل الأمين.

ويحدثنا الرسول ﷺ عن ساعة ذلك اللقاء الفريد فيقول: فجاء الملك فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ،

فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

ويذهب الرسول إلى أهله بالخبر وهو في تفكير عميق وشعور نفسي غريب، يحاول أن يتفهم حقيقة ما حدث، فتتلقفه يدا زوجه الحانية السيدة خديجة، وإذا بها - بعدما سمعت ما قصه عليها الصادق الأمين- تقول في ثقة كاملة: (أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق).

لقد جمعت هذه السيدة الحكيمة صفات سيدنا محمد ﷺ التي جعلته محل العناية الإلهية والاصطفاء للنبوة..

ولا تكتفي السيدة خديجة، بل تحاول أن تستوثق، فتذهب إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وهو من الحنفاء الذين التمسوا الدين الصحيح بعيداً عن وثنية قريش، وله علم بالكتب المقدسة لدى النصارى.

ويسمع ورقة حديثها، ويسمع من الصادق الأمين ما حدث له، فيقطع بالنبوة لسيدنا محمد ويقول: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى..

ويشاء الله أن ينقطع الوحي فترة من الزمن يترقب فيها الرسول ويتشوق، وإذا باللقاء يتجدد.

وفي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً، فرجعت فقلت: زملوني، زملوني، فدثروني.. فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥].

من هنا قام رسول الله يحمل الرسالة ويبلغ الدعوة، وانطلق نور الله من غار حراء.

وتقوم النبوة على العقيدة والأخلاق والسلوك.

فالعقيدة تتمثل في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.

فالله جل جلاله هو الخالق المدبر، وهو المهيمن الحكيم، وهو سبحانه المستحق للعبادة وحده.

والأخلاق تتمثل فى قوله تعالى :« وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ».

يقال: فلان طاهر الثياب، وطاهر الجيب والذيل، إذا وصف بالنقاء من العيوب، والسلامة من مساوئ الأخلاق، فالآية الكريمة دعوة إلى محاسن القيم، وفضائل الحياة المثلى، ومبادئ النفس الإنسانية الراشدة

والسلوك يتمثل فى قوله تعالى :« وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ».

والرجز بضم الراء وكسرها: هو العذاب، والمعنى أن يهجر الإنسان ما يكون سببًا لعذابه، أى أن يسلك طريق الرشاد، ويبتعد عن المآثم والمحرمات.

ثم جاء قوله تعالى :« وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ » توضيحًا لفضل الله على سيدنا محمد ﷺ فى النبوة، وأنها محض اصطفاء وليست باجتهاد ولا مؤهلات شخصية تستوجبها، ولكن الله يصطفى من يشاء، وهو صاحب المنة والفضل، فلا تمنن بعملك على ربك تستكثره.

أو المراد تجريد النبوة من المطامع الشخصية، وأنها مجرد حرص على هداية الناس دون مقابل مادى، فأجر الأنبياء على الله وحده.. كما قال جل شأنه :﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المؤمنون: ٧٢-٧٣].

وقد قال الأنبياء جميعًا هذا المعنى لأقوامهم.. فقال نوح :﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ [هود: ٢٩] وقال هود :﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود: ٥١].

ويكون المعنى حينئذ: لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها وتأخذ عليها عوضًا من الدنيا.

ثم كان مسك التوجيه : « وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ».

ولقد تحمل سيدنا محمد ﷺ ما لا يتحمله بشر، ولذا كان سيد أولى العزم من الرسل..

ولمثل ذلك فليعمل العاملون..

اللقاء الأخير للوحى

جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

(كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة) .

يربط لنا هذا الحديث الشريف بين الرسول والقرآن والجود ورمضان فالرسول ﷺ أجود الناس، ولكن هذا الجود كان يتضاعف فى شهر رمضان لسبب عظيم وهو مدارسة القرآن فى كل ليلة مع ملك الوحى الأمين جبريل عليه السلام . .

والمقصود من المدارسة هو أن يقرأ أحدهما ويستمع الآخر، وبذلك يثبت القرآن المجيد فى قلب النبى وعقله، وتحصل مطابقة المقروء للموحى به، ويظل القرآن محفوظًا بعناية الله سبحانه . .

وكانت هذه المدارسة تتكرر كل عام فى ليالى شهر رمضان المبارك، ويشاء الله تعالى أن تتكرر هذه المدارسة فى العام الأخير من حياة المصطفى مرتين، ففى صحيح البخارى عن فاطمة الزهراء رضى الله عنها قالت : أسرَّ إلىَّ النبى ﷺ أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة، وإنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى) .

فالمعارضة بمعنى المدارسة، أحدهما يقرأ والآخر يستمع، تكررت مرتين فى العام الأخير تأكيداً لحفظ القرآن، وتنبيهاً على أن الرسالة آذنت بانتهاء . .

وفى تحديد آخر آيات القرآن نزولا نجد روايات تفيد أن آخر القرآن نزولا آيات الربا من سورة البقرة :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨-٢٨٠] .

وتفيد روايات أن آخر الآيات نزولا آية :وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

وتضيف هذه الروايات أن النبى ﷺ عاش بعدها تسع ليال ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول..

وجاءت روايات تقول إن آية الدين أحدث القرآن عهداً بالعرش، وهى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.. إلى قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢].

ويرى الإمام السيوطى أنه لا منافاة بين هذه الروايات فى آية الربا وآية «واتقوا يومًا» وآية الدَّين، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها فى المصحف، ولأنها فى قصة واحدة وأخبر كل راوٍ عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح..

وليكن معلومًا أن آية سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ نزلت بعرفة عام حجة الوداع، وليست آخر ما نزل على الإطلاق، بل المقصود منها أن الله تعالى أكمل الدين بإقرارهم بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه حتى أصبحت الكعبة خالصة للإسلام والمسلمين.

وآخر سورة نزلت هى سورة النصر:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾.

نزلت هذه السورة جملة واحدة أوسط أيام التشريق فى حجة الوداع، وقد فهم منها الرسول ﷺ قرب انتهاء أجله حتى قال: (نعيت إلىَّ نفسى).

وقد صح فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت:

(ما صلى النبى ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه «﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا يقول فيها «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لى».

وهكذا كان اللقاء الأخير للوحى فى مدارسة القرآن، وفى آخر سورة نزلت، وفى آخر آية تلقاها الرسول ﷺ، ثم انقلب إلى الرفيق الأعلى راضيًا مرضيًا، وختمت النبوَّة، وكان ﷺ العاقب فلا نبى بعده.

المعجزة الكبرى

يتفرد سيدنا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء بأن معجزته الكبرى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يحمل دليله معه، وينادى صباح مساء :﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة :٢٣] .

لقد كان لكل نبى معجزة تتناسب وعصره الذى عاش فيه، فموسى عليه السلام بعث فى قوم انتشر فيهم السحر فكانت معجزته أن انقلبت عصاه حية تسعى وتلقف ما يأفكون، فادرك سحرة فرعون الفرق بين فعل الخلق وفعل الخالق فآمنوا برب العالمين.

قال تعالى :﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الأعراف:١١٧-١٢٢] .

وجاء عيسى عليه السلام فى وقت علا للطب شأنه فكانت المعجزة شيئًا يفوق طور البشر ويعلو مقدرتهم..

قال تعالى :﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران :٤٩]

ثم كانت أمة العرب ولها شأنها فى الغلب بالقول، والبيان فى الحجة، والسبق إلى امتلاك المشاعر، فبعث الله سيدنا محمداً ﷺ من تلك البيئة ومعه القرآن المجيد، فسجدوا له قبل أن يؤمنوا لسمو بلاغته وعظم معانيه..

وحيث إن رسالة الإسلام خاتمة لمطاف الرسالات الإلهية، وعامة لجميع الأزمنة والأمكنة، وخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد ارتكزت على التفكير العلمى وأشادت بالعقل الإنسانى، إذ هو أعدل الأشياء قسمة بين البشر..

قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن

دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية :٣-٦].

ولعل هذا الفرق بين المعجزة العقلية لسيدنا محمد ﷺ والمعجزات الحسية الموقوتة لباقى الأنبياء، هو ما أشار إليه الرسول الكريم عندما قال -كما فى صحيح البخارى - : « ما من الأنبياء نبى إلا أُعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أُوتيته وحيًا أوحاه الله إلىَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة » .

فالقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول ﷺ، وبه وقع التحدى للثقلين إنس وجن.

إن التحدى للعرب وقع فى مكة والمدينة، وأعلنه القرآن مرات كثيرة، وطالبهم بالاستعانة بمن شاءوا من علماء وحكماء وفصحاء، ففى سورة الإسراء يقول :﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [الإسراء :٨٨].

ثم خفف القدر المتحدى به فقال:﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [هود :١٣-١٤].

ثم تنزل لهم فى التحدى فقال :﴿ **وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [يونس :٣٧-٣٨].

هذه الآيات مكية نزلت قبل الهجرة ثم ظل التحدى قائمًا فى المدينة بعد الهجرة، فقال تعالى فى سورة البقرة :﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعو شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾.

إن التحدى العام للناس جميعًا طال على عمر الرسالة كلها ثلاثاً وعشرين سنة، وجعله الله حجة لصدق النبوَّة، فلماذا اتجهوا إلى حمل السلاح وخوض المعارك ووقوعهم أسرى وقتلى والأمر ميسور لو استطاعوا المعارضة؟!

إن الثابت والواقع والذى لا يقبل الريب أن الظاهرة القرآنية أوقعتهم فى ذهول، وجعلتهم حيارى يتخبطون فى أحكامهم عليها، وحكى القرآن المجيد نمطًا من هذا الخلط الذى شغل بالهم..

فتارة يدعون القدرة على المعارضة:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١].

وتارة يتجهون فى ادعاءاتهم إلى شخصية الرسول الكريم: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٦].

وتارة يستبد بهم التفكير فلا يصدر عنهم إلا المتناقضات: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ.. ﴾ [المدثر: ١٨-٢٥].

إن العرب حارت عقولهم أمام الظاهرة القرآنية، وفى مواضع تفوق الحصر تتجلى هذه الظاهرة فى تحد من نوع آخر، إنه الوصف بالعظمة والصدق، والوصف بالعزة والرفعة، والوصف بالاستمرار والخلود..

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١: ٤٢].

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]

فهل للعرب أن يفاخروا أو ينافسوا؟!

لا موقف لهم، ولا تعليل لعجزهم، إلا أنهم ألفوا آباءهم ضالين، فهم على آثارهم يهرعون..

لقد تعدَّد أسلوب القرآن فى تحدى العرب، فوصف من كذب به بأنه أصم، وأبكم، وأعمى، وفى الظلمات ليس بخارج منها، وأضلُّ من الأنعام، وشر من الدواب، وله فى

الآخرة نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيا.. فما كان أيسر للعرب أن يعارضوا القرآن لو استطاعوا ليزيلوا عن أنفسهم هذه النقائص ويريحوا أفئدتهم من هذا العناء..

لقد أكد القرآن فى أسلوب معجز أنهم عاجزون عن المعارضة وقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

فالتعبير بقوله: «وَلَن تَفْعَلُوا» يفيد تأكيد نفى المستقبل.. وهذا هو منتهى التحدى لهم والإحباط من جانبهم..

وقد يتوهم البعض أن التحدى القرآنى موجه للعرب فقط، فما بال الأمم غير الناطقة بالعربية؟!

وهذا وهم كبير، فإن التحدى لأهل الذكر والاختصاص ينسحب على غيرهم من باب أولى، ومن شهد له الأطباء أو علماء الفضاء باختراع معين فاق به أقرانه لا يضيره أن يعترض عليه جاهل من عامة الناس..

إن التحدى القرآنى موجه إلى العالمين فى شخص الناطقين بالعربية، فإذا عجز العرب -وهم أهل اللغة وأرباب فصاحتها والعارفون بأسرارها- فقد لزمت الجميع الحجة وغلبهم الدليل..

ومن أبى فليعارض وليقدم ما يثبت به معارضته، وسيعلم حينئذ أنه يعيش فى سراب فكرى وظلام عقدى، ولا نجاة له إلا فى نور القرآن.

تذوق البيان القرآنى

من المقطوع به أن القرآن المجيد نزل مفرقاً طوال مدة الرسالة التي تقدر بثلاث وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة فى مكة، وعشر سنوات فى المدينة، وذلك فى مناسبات شتى وأحداث بعيدة وقضايا متفرقة، وكان إذا نزلت آية أو آيات يقول الرسول ﷺ :ضعوها فى مكان كذا من سورة كذا..

ومع هذا الانفصال الزمنى نجد القرآن العظيم محكم الأسلوب، قوى الاتصال، آخذاً بعضه برقاب بعض، فى سوره وآياته، فى انسجام ووحدة وترابط، كأنما نزل جملة واحدة، وما ذاك إلا لأنه تنزيل رب العالمين..

وعندما ارتاب المشركون فى تنجيم القرآن وتفريقه نزل الوحى الإلهى مبينًا للحكمة فقال :﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [الفرقان: ٥، ٦].

وفى نفس السورة يحكي أيضًا :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۝ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣].

وفى سورة أخرى يوضح مزيداً من حكمة تنجيمه وتفريقه فيقول: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ [الإسراء:١٠٦].

وهكذا كان ما اتخذوه سببًا للطعن حجة عليهم، فإنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه، وتحدَّاهم القرآن بأقصر سورة منه، فكيف لو نزل جملة واحدة؟!

ومن حكمة الله تعالى فى البيان القرآنى أنه مع بلاغته العظمى وإعجازه اللغوى فإنه ميسر للفهم، قريب للعقل، واضح الدلالة، قوى التأثير، ويستطيع كل إنسان مهما كان ذكاؤه أن ينتفع بهدايته.. قال الله تعالى :﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧].

إن القرآن المجيد قد تركب من جنس الكلمات التى يتكلم بها العرب، ومن نفس الحروف التى ينطقونها، ومع ذلك فقد وقف العرب مشدوهين أمام الإعجاز البيانى

للقرآن، ولعل هذا هو أحد الأسرار التى يرمز إليها القرآن فى فواتح بعض سوره، مثل : الم، ألر، ص ، ق، ن. . إلخ.

وتحكى كتب السير أن عتبة بن ربيعة قدم إلى رسول الله ﷺ وقال: يا ابن أخى، إنك منا حيث علمت من البسطة فى العشيرة والمكان والنسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال الرسول: قل يا أبا الوليد.

قال: يا ابن أخى، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا.

وإن كنت تريد به شرفًا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك. . وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا. .

وإن كان هذا الذى يأتيك رئيًا - وكانوا يسمون التابع من الجن رئيًا- لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.

فلما فرغ عتبة من عرضه قال له الرسول ﷺ: فاستمع منى، ثم قرأ :﴿ حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ④ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ⑤ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ . . ﴾ [فصلت: ١-٦].

ثم مضى الرسول فيها يقرأها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما حتى انتهى الرسول إلى السجدة منها. . فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك!!

وفى رواية: فلما بلغ قوله تعالى :« فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. . ».

قال عتبة: حسبك، حسبك، وأمسك على فيه وناشده الرحم.

ثم رجع إلى قومه فقال: لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة.. يا معشر قريش، أطيعونى واجعلوها لى، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به...

وهكذا كان للقرآن أثره الأخاذ فى نفوس أئمة اللغة والبيان رغم شركهم.

ولعلنا نذكر أن إسلام عمر بن الخطاب كان من أثر تذوق لبيان القرآن حين سمعه فى دار أخته زوجة سعيد بن زيد، عندما دخل عليهما للبطش بهما لعلمه بإسلامهما، فما هى إلا لحظات سمع فيها القرآن من سورة طه، فاهتز قلبه لجلاله وإعجازه، فقصد إلى مجلس الرسول ﷺ وشهد شهادة حق بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

وقد أدرك زعماء الشرك فى مكة هذا الأثر العظيم للقرآن، فخافوا على أهليهم، وحاولوا بكل وسيلة منع الآذان من سماعه، وحكى القرآن ذلك فى قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت:٢٦].

وسجل البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت:

لما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد – مكان على خمسة أميال من مكة إلى جهة اليمن– لقيه ابن الدغنة، وهو سيد الغارة – قبيلة مشهورة– فقال: أين تريد يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى.

فقال ابن الدغنة: فإن مثلك لا يَخرج ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك..

فرجع أبو بكر وارتحل معه ابن الدغنة وطاف على أشراف قريش يخبرهم بضمانه لجوار أبى بكر. فقالوا له: مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.

فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلنَ بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره، ثم بدا لأبى بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون به وينظرون إليه،

وكان أبو بكر رجلا بكاءً، لا يملك عينيه إذاقرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن الصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإنى أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان، فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر وقص عليه رأى قريش، فقال له أبو بكر: فإنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل..

إن دراسات متعددة للأسلوب القرآنى قام بها القدماء والمحدثون، خدموا بها هذا الجانب خدمة جليلة، وقد ذكروا مجموعة خصائص لهذا الأسلوب القرآنى المعجز، ونقتبس إشارات منها سجلها الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه (النبأ العظيم) وارتكز عليها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى فى كتابه (مناهل العرفان فى علوم القرآن).

الخاصة الأولى:

النظام الصوتى البديع الذى قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعًا، ووزعت فى تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعًا بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به..

إنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر، ولكنه شيء آخر فى لحن متنوع متجدد، يأخذ بأوتار القلوب، ولا يخفى على أحد ممن سمع القرآن حتى ولو كان غير عربى..

إن الجمال الصوتى للقرآن راجع إلى الظاهرة الفريدة فى ترتيب حروفه وكلماته التى تخضع للإخفاء أو الإظهار أو الهمس أو الجهر، وغير ذلك مما هو معروف فى علم التجويد..

الخاصة الثانية:

القصد فى اللفظ والوفاء بحق المعنى، وهما غايتان لم يجتمعا لكلام بشر، فالذى يعمد إلى ادخار لفظه يحيف على المعنى قليلا أو كثيرًا، والذى يعمد إلى الوفاء بحق المعنى وتحليل عناصره وإبراز كل دقائقه، لا يجد بداً من أن يمد فى كلامه مداً..

وقد اجتمعت هاتان الغايتان على تمامهما فى القرآن الكريم، فنجد بيان القرآن على قدر حاجة النفس، فلا إسراف فى اللفظ ولا إجحاف، ولا نقص فى عناصر المعنى ولا

شذوذ، فهو محاسن متوالية وبدائع تترا..

الخاصة الثالثة:

خطاب العامة وخطاب الخاصة، وهاتان غايتان متباعدتان، لكل منهما أساليبه ومعانيه، فالعامة تحتاج إلى الواضح المكشوف، والخاصة يكفيها الإشارة واللمحة..

وليس فى طاقة البشر أن يقدموا أسلوبًا واحدًا يوجه إلى العلماء والجهلاء، وإلى الأذكياء والأغبياء، وإلى السوقة والملوك.. ولكن القرآن وحده يراه البلغاء أوْفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم..

الخاصة الرابعة:

إقناع العقل وإمتاع العاطفة وهما أسلوبان متمايزان، ولقد بات العرف العام يقسم الأسلوب إلى علمى وأدبى، فنجد فى كلام العلماء جفاء لا يحرك النفوس، ونجد فى كلام الأدباء عقمًا لا يقنع العقول، ولا يتسنى لإنسان أن تأتى كل جملة من كلامه جامعة للغايتين معًا.. ولكن القرآن العظيم وهو فى معمعان الاستدلال العقلى على البعث والإعادة فى مواجهة المنكرين، يسوق استدلاله سوقًا يهز القلوب هزًا ويمتع العاطفة إمتاعًا.. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦-١١].

الخاصة الخامسة:

براعة القرآن فى تصريف القول وثروته فى أفانين الكلام، فهو يورد المعنى الواحد بألفاظ وطرق مختلفة لها مناسبتها بالسياق البيانى، وعلى سبيل المثال فإن التعبير القرآنى عن إباحة الفعل جاء بالطرق التالية:

١ - التصريح فى جانبه بمادة الحل، نحو: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١].

٢ - الأمر به مع قرينة صارفة عن الطلب، نحو: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٣ – نفى الإثم عن الفعل، نحو : ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾.

٤ – نفى الحرج عنه، نحو : ﴿ليس على الأعمى حرج..﴾.

٥ – نفى الجناح عنه فى غير ما ادعى فيه الحرمة، نحو :﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا ..﴾ [المائدة:٩٣]

٦ – إنكار تحريمه فى صورة استفهام، نحو :﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢].

٧ – الامتنان بالشىء ووصفه بأنه رزق حسن، نحو :﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل:٦٧].

الخاصة السادسة :

الإجمال والبيان وهما غايتان متقابلتان لا يجتمعان فى كلام واحد للناس، فالكلام إما مجمل وإما مبين، لأن الكلمة إما واضحة المعنى لا تحتاج إلى بيان، وإما خفية المعنى تحتاج إلى بيان، ولكن القرآن وحده هو الذى انخرقت له هذه العادة، فتسمع الجملة منه وإذا هى بينة مجملة فى آن واحد وذلك أنها واضحة المعنى وضوحًا يريح النفس من عناء التنقيب والبحث لأول وهلة، فإذا أمعنت النظر فيها لاحت منها معان جديدة كلها صحيح أو محتمل، وكلما أمعنت فيها النظر زادتك من المعارف والأسرار بقدر ما تصيب أنت من النظر وما تحمل من الاستعداد، على حد قول القائل

يزيدك وجهه حسنًا إذا ما زدته نظرا(١)

(١) راجع كتاب (النبأ العظيم) للدكتور محمد دراز، ص ١٠١، وكتاب (مناهل العرفان فى علوم القرآن) للشيخ محمد الزرقانى، ص٢٠٥.

ترجمة القرآن

القرآن هو اللفظ العربى، المنزل على سيدنا محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، وقد نقل إلينا متواتراً جيلا بعد جيل، وسيظل كذلك تحقيقاً للوعد القرآنى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، ومن مفاخر المسلمين التى لا تضارع احتفاظهم بالنص القرآن كما تلقاه الرسول الكريم من فم الوحى، وقراءتهم له كما نزل من لدن الحكيم العليم، من غير تحريف أو تغيير أو تبديل..

والترجمة مهما أُحكمت فهى تعبير ذاتى أو فهم شخصى للنص المترجم، وإن أصحاب التذوق اللغوى يدركون الفرق الشاسع بين قراءة قصيدة شعرية مثلا كتبها الشاعر بلغته، وبين ترجمتها للغة أخرى،إنهم سيجدون فى القصيدة بلغة شاعرها معانى وإيحاءات مفقودة تماماً فى القصيدة باللغة التى ترجمت إليها..

وإذا كان هذا فى كلام البشر، فكيف نتطاول إلى ترجمة كلام رب العالمين؟!

إن فى القرآن العظيم لطائف ودقائق يوحى بها النظم العربى والبيان اللغوى. وعلى سبيل المثال: ففى قوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين». نجد أن تقديم الضمير المنفصل المنصوب «إياك» يدل على الاختصاص المفيد لتوحيد الربوبية والألوهية، كما أن التعبير بلفظ «نعبد» يدل على أقصى الخضوع والتذلل، وهو فى العربية موقوف على الذات الإلهية لا يستعمل لما سوى الله تعالى..

وفى الآية الكريمة ما يسمى بالالتفات فى علم البيان من الغيبة إلى الخطاب ليكون أيقظ لإصغاء السامع، حيث يدرك أن عبادته إنما هى لذلك المعبود المختص بالخلق والأمر..

وفى الآية تقديم العبادة على الاستعانة، وإطلاق الاستعانة بغير تحديد المستعان فيه أو له..

كل ذلك وغيره كثير مقصور على النظم العربى ويضيع عند الترجمة، ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك أحكاماً فقهية قد تترتب على النظم العربى، مثل قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦].

فحرف الجر «الباء» هل هو للاستيعاب؟ أو للإلصاق؟ أو للتبعيض؟ أخذ الإمام مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب، وأخذ الإمام الشافعى باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح، وأخذ الإمام أبو حنيفة ببيان رسول الله ﷺ، وهو ما روى أنه مسح على ناصيته، وقدر الناصية بربع الرأس..

كذلك قرأ جماعة « وأرجلكم » بالجر، وترتب على ذلك خلاف بين الشيعة والسنة فى أن الأرجل تغسل أم تمسح؟

وهكذا نجد أن النص العربى للقرآن المجيد يتعلق به أمور جوهرية فى عقيدة المسلم وعبادته، ولا تفى الترجمة بإعجاز القرآن، وهى أشبه بمن يحنط وجهاً جميلاً فإن التحنيط لا يبقى من الجمال شيئاً..

إن إقليمية لغة القرآن لا تمنع عالمية مبادئه وقيمه، والإسلام منذ يومه الأول وهو يؤكد عالمية الرسالة المحمدية، وليس من المصادفة أن يجمع السابقون فى الإسلام بين صفوفهم ممثلين لأجناس البشر، فكان بلال الحبشى، وصهيب الرومى، وسلمان الفارسى..

وقد هاجر المسلمون مرتين إلى الحبشة، وعندما استقر الأمر للإسلام فى العام السادس للهجرة بصلح الحديبية خاطب الرسول ﷺ زعماء العالم، وكتب رسائل شخصية إلى هرقل عظيم الروم، وكسرى عظيم فارس، وإلى النجاشى فى الحبشة، وإلى المقوقس فى مصر..

وعندما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى واصل الخلفاء الراشدون الفتوحات الإسلامية التى أنقذت الإنسانية من الذل والهوان، وانتقلت بها إلى آفاق المجد والحضارة، وكانت اللغة العربية هى اللغة العالمية التى يعرفها المسلمون وغير المسلمين، فهى لغة الحكم والسياسة، وهى لغة العلم والفلسفة..

إن الناس فى حاجة ماسة لمعرفة مبادئ الإسلام وهدايته للبشرية واستيعابه لمطالب الحياة الراشدة بأية لغة كانت..

أما القرآن فسيبقى وحده كتاب الإنسانية الخالد الذى يقرأ بالنص الإلهى الأول..

وإذا كان الناس قد اصطلحوا على بقاء أسماء الأشخاص والمدن بغير ترجمة، أفلا يجدر بنا أن نحافظ على النص القرآنى كعلم ربانى قصد الله جل جلاله ألفاظه دون غيرها..

وصدق الله حيث يقول: ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)** ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

وما يوجد الآن من ترجمات للقرآن ليست قرآنًا ولا تأخذ أحكام القرآن، وأكثر الترجمات من صنع المستشرقين الذين لا يدينون بالإسلام،ولا تكاد تسلم ترجمة موجودة الآن من تحريف لمعنى، أو قصور فى أدائه، أو جهل بأسرار اللغة العربية..

وأقصى ما نقول فيها إنها لون من التفسير قائم على اجتهاد المترجم وفهمه الخاص، مما يقرب معنى القرآن لأهل اللغات الأخرى.

ومن الأمور التى تثير الإعجاب حقًا أن تجد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يحفظون القرآن بلسانه، ويحسنون تلاوته، دون أن يستطيعوا الحديث باللغة العربية..

تلاوة القرآن

مدارسة القرآن والاجتماع حول تلاوته هدى نبوى كريم، ولا نتصور صيامًا يؤتى ثماره الطيبة بغير ذلك، وحياة المسلم مرتبطة فى كل وقت بالقرآن حفظًا وتحفيظًا، فهمًا ومدارسة، حكمًا وتطبيقًا.. إلا أنه فى شهر رمضان آكد، استثمارًا للوقت واغتنامًا للفرصة، وإن الملائكة لتتنزل عند تلاوة القرآن وحسن أدائه، وفى الحديث المشهور الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده).

والمقصود من تلاوة القرآن: حفظه والعمل بأحكامه والتأمل فى أسراره.

ومن هنا كانت وصايا رسول الله ﷺ فى هذا المجال بمعاهدة القران، أى دوام القراءة والارتباط بالمصحف ارتباطًا كثيرًا والتمهل فى القراءة وحسن الصوت حتى يحس المسلم ببرد الآيات فى صدره..

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت ».

وأخرج الإمام أحمد أن ناسًا ذكروا لعائشة رضى الله عنها يقرأون القرآن فى الليل مرة أو مرتين، فقالت: « أولئك قرأوا ولم يقرأوا، كنت أقوم مع النبى ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذ ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه ».

وذات يوم قال الرسول ﷺ لعبد الله بن مسعود: اقرأ علىَّ، فقال عبد الله: أقرأ عليك وعليك أنزل؟!

قال: نعم. وفى رواية: إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى.

فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى أتى هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ فقال له الرسول: حسبك الآن. فالتفت إليه ابن مسعود فإذا عيناه تذرفان.

ومن قصد السنة وهدى رسول الله أن يعاود المسلم ختم المصحف كل شهر كحد أقصى، أو كل أسبوع كحد أدنى، فهذا أدعى لائتلاف القلب واجتماعه ووعى القراءة والتأمل.

وقد ثبت فى الصحيح أن الرسول الكريم عرض على ابن عمرو أن يقرأ القرآن كل شهر مرة، فلما قال له: إنى أجد قوة، قال عليه الصلاة والسلام: فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك.

وقد قال العلماء: إن النهى هنا ليس للتحريم، كما أن الأمر ليس للوجوب وإنما هو للإرشاد، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل.. فالشعار العام قول الرسول الكريم: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه».

ومع أن القرآن كله نور وضياء، وجميعه هدى ورحمة وشفاء إلا أن فيه سوراً وآيات اصطفاها الله عز وجل وخصها بمزيد الثواب والفضل..

فسورة الفاتحة أعظم سور القرآن.. ففى صحيح البخارى عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال: كنت أصلى بالمسجد فدعانى رسول الله ﷺ فلم أجبه ثم أتيته فقلت: يا رسول الله إنى كنت أصلى فقال: ألم يقل الله تعالى ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾ ثم قال: لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدى فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قال: الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته».

وسورة البقرة مطردة للشيطان وحصن البيت المسلم، وفى صحيح الحديث قال عليه الصلاة والسلام« لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة».

وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وقد سمع رجل على عهد رسول الله رجلاً يقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يرددها ليلاً، فلما أصبح جاء إلى النبى ﷺ فذكر ذلك له وكان

الرجل يتقالّها فقال عليه الصلاة والسلام: والذى نفسى بيده إنها تعدل ثلث القرآن.

وفى فضل سورتى البقرة وآل عمران جاء قوله ﷺ - كما رواه الحاكم وقال - صحيح على شرط مسلم - « تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ».

وفى ثواب قراءة آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها روى مسلم بسنده عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال ». وفى رواية للحاكم على شرط مسلم: من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه، ومن توضأ ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك كتب فى رق ثم طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة ».

وأعظم آية فى القرآن هى آية الكرسى فقد قال الرسول لأبى بن كعب: يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم، قال أبى: الله لا إله إلا هو الحى القيوم فضرب رسول الله فى صدره وقال: ليهنك العلم أبا المنذر» أى هنيئاً لك العلم.. رواه مسلم.

وهكذا فإن القرآن كله عظيم، ومع ذلك فإنه يتفاضل فى ثواب قراءته، الأمر الذى يجعل المسلم يسارع إلى مرضاة الله واكتساب الحسنة، فيواصل قراءة القرآن بأجمعه ويخص هذه السور والآيات المصطفاة بمزيد القراءة والتأمل عسى أن يناله الشفاء وتعمه الرحمة ويسعد فى الأولى والآخرة..

وصدق الله حيث يقول ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً ﴾ [الإسراء: ٨٢].

تعلم القرآن وتعليمه

القرآن دستور هذه الأمة ومصدر قوانينها، وبه عزها وفخارها، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

وميزة هذا القرآن المجيد أنه محفوظ فى الصدور وفى السطور، يتواتر نقله إلى يوم القيامة لا تسقط منه كلمة ولا يزداد فيه حرف، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقد توافرت الأسباب والدواعى على حفظ القران وتحفيظه، وجاءت النصوص الشرعية تبين شرف ذلك وفضله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠] وقال ﷺ فى صحيح الحديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ».

وأول معلم للقرآن هو جبريل الأمين فقد جاء إلى رسول الله ﷺ لأول مرة فى غار حراء وقال له: اقرأ، ونزل قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥].

وكان جبريل يتنزل على رسول الله ﷺ فى شهر رمضان من كل عام يدارسه القرآن حتى كان العام الأخير من حياة المصطفى فدارسه القرآن مرتين حتى استشعر الرسول ﷺ انتهاء أجله لأن القرآن قد تم والرسالة قد كملت..

وشرف تعلم القرآن وتعليمه مبنى على مجموعة اعتبارات:

١ - العلم عمومًا له فضل وشرف ومنزلة ويكفى أن نقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] وأفضل العلم ما كان متصلاً بكلام الله عز وجل ومعجزة نبيه المصطفى ﷺ فالقرآن أشرف العلوم، ومعلم القرآن أفضل المعلمين..

٢ - تعلم القرآن وتلاوته لهما الثواب الجزيل فقد قال ﷺ فى صحيح الحديث « اقرأوا

القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ».

وفى حديث رواه أبو داود « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها ».

فإذا انضم إلى تعلم القرآن التعليم للآخرين ومساعدتهم على حسن التلاوة كان ذلك شرفًا كبيراً فإن النفع المتعدى خير من النفع القاصر.

٣ – فى تعليم القرآن تمكين للدعوة إلى الله عز وجل وتهيئة لمناخ الإصلاح وتعبئة الشعور نحو حقيقة الإسلام، وإرشاد للناس إلى منهج الله.. وقد قال جل شأنه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

٤ – تعلم القرآن وتعليمه أو حفظ القرآن وتحفيظه وإن كان فى المقام الأول يهتم بسلامة النص القرآنى وحسن الأداء له، إلا أن له بعداً ملازمًا له وهو الفقه فى الدين والعمل بالتشريع، ولم يكن الناس قديمًا يفرقون بين الحفظ والفقه فكان الأقرأ لكتاب الله هو الأفقه والأعلم.

ويوم انفصل الفقه فى الدين عن حفظ القرآن ضاعت هيبة العلماء واتخذ الناس القرآن مهجوراً وجعلوه وسيلة اكتساب وحرفة تسول وتميمة علاج وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ [الفرقان: ٣٠].

وهناك اقتراح نتوجه به إلى كل غيور على الإسلام، حريص على القيم..

لقد أخرج البخارى فى صحيحه أن أبا عبد الرحمن السلمى عندما سمع هذا الحديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » تفرغ لتحفيظ القرآن سنين عديدة وعقوداً متطاولة وقال: وذاك الذى أقعدنى مقعدى هذا.

وأخرج أبو داود أن أبا عبد الرحمن هذا كان يقرئ القرآن خمس آيات خمس آيات اقتداء بأول ما نزل من القرآن فى سورة القلم.

فحبذا لو تعاهدنا على أن نبدأ مشروعًا قوميًا لتحفيظ القرآن الكريم تتبناه جميع أجهزة الإعلام المقرؤء والمسموع والمرئى وتتعاون فيه وزارات التعليم والثقافة والأوقاف والأزهر، ويقوم على الخطوات التالية:

١ – حفظ خمس آيات كل يوم، يتعاهدها الصغار والكبار، الرجال والنساء.

٢ – تقديم هذه الآيات الخمس على طريقة المصحف المعلم فى الإذاعة والتليفزيون.

٣ – شرح هذه الآيات الخمس فى وسائل الإعلام والمساجد والمدارس ومراكز الثقافة.

٤ – الاستعانة بهذه الآيات الخمس يوميًا فى دروس محو الأمية.

٥ – تخصيص يوم الجمعة لمراجعة ما تم حفظه ودراسة معناه خلال الأسبوع فى تغطية إعلامية شاملة..

٦ – تحديد ليلة القدر كل عام لتكريم المتفوقين على المستوى الشعبى ومن كافة الأعمار..

فإذا علمنا أن آيات القرآن تصل إلى ستة آلاف آية تقريبًا فإن عدد أيام الحفظ هى مائتان وألف يوم أى ما يستغرق أربعين شهرًا، وهى تساوى ثلاث سنوات وثلثا، قد تزيد إلى أربع سنوات إذا تخللها توقف أو إجازة فهذه مدة زمنية يسيرة يمكن للأمة كلها أن تستوعب حفظ القرآن كله خلالها..

فهل من هيئة رشيدة ومجموعة حكماء يتبنون هذا المشروع القومى لإضاءة العقول والقلوب بنور الله عز وجل؟!

شفاعة القرآن

أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ».

* * *

قراءة القرآن من القربات التى يعظم ثوابها عند الله تعالى، لأنها علم وعمل، ذكر وعبادة، دعاء ومناجاة..

فقراءة القرآن تصحح العقيدة وتبين صالح الأعمال، وتصل القلب بالله، وتجعل اللسان رطبًا بذكر الله، وتدفع المسلم إلى الضراعة الخاشعة لله، ولهذا جاء فى حديث رواه الحاكم وصححه:

« إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن استمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيُستعتب، ولا يُعْوج فيُقوم، ولا تنقضى عجائبه، ولا يَخْلَق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته، كل حرف عشرَ حسنات، أما إنى لا أقول آلم حرف، ولكن ألف ولام وميم ».

وفى حديث رواه الترمذى وقال حسن صحيح: « من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف »... وشفاعة القرآن لأصحابه يوم القيامة تظاهرت عليها نصوص الأحاديث، وكيفية هذه الشفاعة وحقيقتها ومناجاة القرآن لله عز وجل مما نفوض علمها إلى الخلاق العليم.

ونؤكد أن شفاعة القرآن تعنى فى النهاية ما يمنحه الله لقارئ القرآن من ثواب عظيم ومنزلة رفيعة ونعم لا تعد ولا تحصى.. وفى حديث رواه ابن حبان عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « القرآن شافع مشفع وماحل مُصدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار ».

فالقرآن شافع أى طالب للشفاعة لأهله، ومشفع أى مقبول الشفاعة عند الله عز وجل، وماحل أى ساع إلى الخير أو خصم مجادل عن صاحبه، ومصدق أى يصدقه الله فيما يقوله عن حملة القرآن المعظمين لشعائر الله.

شفاعة سورتى البقرة وآل عمران

أخرج مسلم من صحيحه بسنده عن أبى أمامة الباهلى قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما » .

لسورتى البقرة وآل عمران فضل خاص ومنزلة كريمة، فهما تسميان الزهراوين لكثرة نورهما وعظم هدايتهما واشتمالهما على أمور الدين وعقائد التوحيد وأحكام التشريع بتفصيل كبير . .

وعندما يقرأ المسلم القرآن المجيد ويتأمل هاتين السورتين تعظم فى نفسه نعمة الله عليه، ويشرق قلبه بنور الله ويتعلم ما يسعد به فى الدنيا والآخرة . .

وقد اشتملت سورة البقرة على أعظم آية فى القرآن وهى آية الكرسى، وأطول آية وهى أية المداينة، ونزلت الآيتان الأخيرتان فى سورة البقرة من كنز تحت عرش الرحمن، ومن قرأهما فى ليلة كفتاه .

وسورة آل عمران تحكى تاريخ المسلمين فى بدر وأحد، وتحدد علاقة المسلمين بأهل الكتاب، وتتحدث عن فريقين متقابلين بينهما بعد المشرقين هما المنافقون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا، والشهداء الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . .

وكانت الآيات العشر فى ختام سورة آل عمران يقوم بها النبى ﷺ ليلاً وينظر فى السماء ويقرأها ثم يقول، ويل لمن يقرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها ثم يبكى ويدعو الله قائلاً : اللهم اجعل فى قلبى نوراً، وفى سمعى نوراً، وفى بصرى نوراً، وعن يمينى نوراً، وعن شمالى نوراً، ومن بين يدى نوراً، ومن خلفى نوراً، ومن فوقى نوراً، ومن تحتى نوراً، وأعظم لى نوراً يوم القيامة .

هاتان السورتان تأتيان يوم القيامة شافعتين لأصحابهما، والتعبير بالصحبة يدل على كثرة الملازمة فى التلاوة والتأمل والعمل والالتزام .

هاتان السورتان ضرب الرسول الكريم لهما ثلاثة أمثلة « كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف » والغمامتان والغيايتان : كل شىء أظل الإنسان فوق رأسه، والفرقان : الجماعتان . .

تتقدم هاتان السورتان بهذا الشكل تدافعان عن صاحبهما وتشفعان له عند الله عز وجل ويجعلها الله تنطقان بما كان يقوم به المسلم من عناية بالقرآن ورعاية لآدابه والتزام بأحكامه، فيقبل الله تعالى شفاعتهما ويحقق لصاحبهما فوزاً وفضلاً عظيماً . .

شفاعة سورة الملك

روى أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من القرآن سورة، ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له».

* * *

يخبرنا الصادق المصدوق ﷺ بشفاعة سورة الملك، وهى سورة مكية، عدد آياتها ثلاثون، وتبدأ بتقديس الله وتنزيهه وإثبات قدرته المطلقه وسلطانه العظيم على الملك والملكوت، قال تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الملك: ١].

وتسمو بعقل الإنسان إلى آفاق الماضى والحاضر والمستقبل وتبسط أمام ناظريه آيات الأنفس والآفاق.. قال تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ** ﴾ [الملك: ٣] وتدفع هذه السورة الكريمة الناس إلى المسارعة إلى الخير والبر والمعروف قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله، يقف فيه الكافرون موقف الهوان والحسرة ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الملك: ١٠ - ١١].

وتعدد السورة نعم الله فى الخلق والرزق والإحياء والإماتة لتصل إلى جوهر الحقيقة فى إيجاز شديد ﴿ **قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [الملك: ٢٤].

فالمبدأ من الله والمرجع إلى الله، ولا مجال لقول قائل ﴿ **مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [الملك: ٢٥] فالجواب حاضر وبدهى ﴿ **قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [الملك: ٢٦] فالموعد لن يخلف، ومهمة الرسول هى البلاغ، والعاقل من استخدم نعم الله فى طاعة الله..

وهكذا فإن تلاوة سورة الملك والتأمل الواعى فى آياتها وانشراح الصدر بها عملاً وسلوكًا يجعل المسلم محلاً لشفاعة هذه السورة الكريمة، وتقوده حتى يغفر الله له، وتسلمه إلى الجنات ونعيمها..

شفاعة قارئ القرآن

خرج الترمذى وابن ماجه بإسنادهما عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن فاستظهره، فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار ».

* * *

من معالم الحياة الإسلامية حفظ القرآن وتحفيظه، كى تتواصل السلسلة المتواترة بنقل القرآن المجيد فى أجيال الأمة سليمًا من التحريف، بعيداً عن التبديل والتغيير، تحقيقًا لوعد الله فى قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ثم إن الأمة ترتهن سعادتها فى الأولى والآخرة بالولاء لهذا الكتاب الخالد، فهو ذكرها وشرفها، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤].

وقال جل شأنه: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

وقارئ القرآن العامل به، الملتزم بأحكامه، المعتز بدينه، له منزلة رفيعة عند الله عز وجل، فهو يدخل الجنة مكرمًا، ويعلو فى درجاتها بقدر ما يحفظ، ففى حديث رواه أبو داود وابن حبان والترمذى وقال: حسن صحيح - قال عليه الصلاة والسلام « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها ».

ومن تكريم الله تعالى لقارئ القرآن أن يمنحه شفاعة مقبولة لجماعة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار.. أى أنهم ارتكبوا معاصى يترتب عليها وعيد إلهى، لكن هذه المعاصى لم تخرجهم عند دائرة الإيمان، فإن الكافر مخلد فى جهنم لا يموت فيها ولا يحيا أما العاصى فيستحق العذاب بقدر معصيته ثم قد يعذب عذابًا مؤقتا وقد يعفو الله عز وجل لحكمة يعلمها..

هنا يأتى قارئ القرآن المستظهر له أى الحافظ لآياته، والذى يحل حلاله ويحرم حرامه أى الملتزم بالأحكام الشرعية، فيشفع فى عشرة من أهله بعد أن يأذن الله ويرضى، وتكون هذه الشفاعة مقبولة إما بالعفو المطلق وإما بإخراجهم من العذاب المؤقت، وذلك على سبيل التكريم لحملة القرآن والإعلاء لشأنهم..

البحث السادس

الرسول والأعياد

- حكمة الأعياد.
- تكبيرات العيد.
- صلاة العيد.
- بهجة العيد.

حكمة الأعياد

ارتبطت الأعياد فى الإسلام بمواقف مشهودة وعبادات جليلة، فهناك عيدان سنويان هما: عيد الفطر ويرتبط بشهر رمضان المبارك، وعيد الأضحى ويرتبط بمناسك الحج المقدسة.. وهناك يوم أسبوعى يشبه العيد يلتقى فيه المسلمون على صلاة جامعة وتوجيه راشد هو يوم الجمعة.. وأخرج أبو داود والنسائى بإسناد صحيح عن أنس قال:

قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: (قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر).

وهكذا يتسامى المسلمون بالأعياد، ويربطونها بأمجاد. ويتحقق فيها البعد الروحى العميق، ويكون لها من العموم والشمول ما يجعل الناس جميعاً يشاركون فى تحقيقها، ويستشعرون آثارها المباركة، ويعيشون أحداثها كلما دار الزمن وتجدد العيد، فليست الأعياد فى الإسلام ذكريات مضت أو مواقف خاصة لكبراء وزعماء، بل كل مسلم له بالعيد صلة وواقع متجدد على مدى الحياة.

وإظهار السرور فى العيدين مندوب، وذلك من الشريعة التى شرعها الله لعباده، وترويح البدن وبسط النفس بما ليس محظوراً ولا شاغلا عن الطاعة من أدب العيد..

وتحكى عائشة رضى الله عنها - كما فى صحيح مسلم - قالت: جاء حبش يزفنون فى يوم عيد فى المسجد ، فدعانى النبى ﷺ، فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التى أنصرف عن النظر إليهم.

أى أن الرسول الكريم دعا زوجه السيدة عائشة لمشاهدة لعب الحبشة بحرابهم فى المسجد على قريب من هيئة الرقص. فمعنى «يزفنون» يرقصون.. وكانت عائشة حريصة على هذه المشاهدة حتى قالت فى رواية أخرى: رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية، فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن.

والمعنى أنها لحداثة سنها تحب اللعب والنظر إلى اللاعبين حباً بليغاً، وتحرص عليه ما أمكنها، ولا تمل منه إلابعذر من تطويل..

ومما يؤكد هذا التقرير من رسول الله ما ورد فى رواية مسلم قال: بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحرابهم إذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها.. فقال له عليه الصلاة والسلام: دعهم يا عمر..

تكبيرات العيد

هذاويختص العيد فى الإسلام بالتكبير من كل المسلمين رجالا ونساء وأطفالا من ليلة العيد إلى أن يدخل الإمام فى صلاة العيد، وسواء فى ذلك المساجد والمنازل والأسواق وغيرها. وإليه الإشارة بقوله تعالى فى آيات الصيام: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال سبحانه فى آيات الحج ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ [الحج : ٣٧] لأن العبادة العامة يستحب الإعلان عنها وشكر الله عقب أدائها.. حتى الصلاة اليومية قال الله تعالى عنها: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. وقال جل شأنه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠].

ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلوات المكتوبات.

وقال ابن عباس - كما فى صحيح البخارى -: كنت أعرف انقضاء صلاة النبى ﷺ بالتكبير. وفى رواية: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبى ﷺ.

وذهب بعض الفقهاء إلى أن تكبيرات عيد الأضحى تستمر عقب الصلوات الفرائض إلى عصر اليوم الثالث من أيام التشريق.

ولأهمية هذا التكبير كان من هدى رسول الله أن يذهب لصلاة العيد من طريق ويرجع من آخر حتى تتردد بين جنبات الكون تكبيرات المسلمين، والأفضل أن يتناول المسلم شيئاً قبل خروجه لعيد الفطر ليقطع أثر الصوم، وفى الحديث المتفق عليه: كان ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات.. والأمر يختلف فى عيد الأضحى، فلا يأكل شيئاً قبل الصلاة حتى يعود منها ويأكل من أضحيته التى يذبحها بعد عودته، احتفالا بهذا اليوم المشهود وتوسعة على المسلمين.

صلاة العيد

من هدى رسول الله أن يشارك المسلمون جميعاً فى حضور صلاة العيد حتى ولو لم يؤد البعض الصلاة لعذر شرعى وتحدثنا أم عطية كما فى الصحيح قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن فى الفطر والأضحى العوائق والحيَّض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين.

والعواتق: جمع عاتق وهى الفتاة التى لم تتزوج. وذوات الخدور: هنَّ السيدات المتزوجات.

ويصف لنا جابر بن عبدالله رضى الله عنه صلاة العيد مع الرسول الكريم فيقول - كما فى مسلم -: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم العيد. فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكَّرها. ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكَّرهن فقال: تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم. فقامت امرأة من واسطة النساء سفعاء الخدين(١) فقالت: لِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنكنَّ تكثرن الشكاة وتكفرن العشير. فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين فى ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن.

وصلاة العيد ركعتان، يكبر فى الأولى سبعاً سوى تكبيرة الإحرام، وفى الثانية خمساً(٢) سوى تكبيرة القيام. وتجوز جماعة، وعلى انفراد، ووقتها ما بين طلوع الشمس وزوالها.

ويخطب الإمام بعدهما خطبتين، يكبر ندباً فى افتتاح الخطبة الأولى تسعاً، ويكبر فى افتتاح الثانية سبعاً..

وليس لصلاة العيد أذان ولا إقامة.

---

(١) واسطة النساء: أى من خيارهن أو جالسة فى وسطهن، وسفعاء: أى فيها تغير وسواد.

(٢) هذا هو المشهود وهناك آراء أخرى تزيد فى التكبير أو تنقص منه سواء فى الصلاة أو فى الخطبة.

بهجة العيد

في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال: دعهما، ولما غفل غمزتهما فخرجتا.

نحن هنا أمام موقف من مواقف بيت النبوَّة: لقد دخل الرسول بيته يوم العيد فوجد زوجه أم المؤمنين عائشة تستمع لغناء جاريتين تغنيان بإنشاد شعر قيل يوم بعاث، وهو اسم حصن للأوس وقعت الحرب عنده بينهم وبين الخزرج، واستمرت المعركة مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام فألف الله بينهم ببركة النبي ﷺ.

وفي بعض الروايات للحديث أنه كان مع الجاريتين دف كما في مسلم أو دفان كما في النسائي.

فلما رأى النبي ﷺ ذلك لم ينكره على عائشة، بل اضطجع وحوَّل وجهه، لأن مقامه يجلُّ عن الإصغاء لذلك.. وبعد فترة دخل الصديق فانتهر ابنته لتقريرها الغناء في حضرة الرسول الكريم، وظن أنه ﷺ نائم فقال: أمزمارة الشيطان عند رسول الله؟!

والمزمارة والمزمار مشتق من الزمير وهو الصوت الذي له صفير، ويطلق على الصوت الحسن وعلى الغناء، وأضافها للشيطان لأنها تلهي القلب عن ذكر الله تعالى.

هنا أقبل عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال له: دعهما، أي الجاريتين. وفي رواية «دعها» أي عائشة، ثم بين له الحكمة فقال: يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا. أي أنه يوم سرور شرعي فلا ينكر فيه مثل هذا القدر من اللهو المباح.

وقريب من هذا المعنى ما جاء في الصحيح أيضاً أن عائشة رضي الله عنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: يا عائشة، ما كان معكم من لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو؟

وفي رواية: فهلا بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟ قالت عائشة: ماذا تقول؟ قال عليه الصلاة والسلام: تقول:

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الحنطة السمرا ما سمنت فتاياكم

وفى رواية أخرى:

لولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمرا ما سمنت عذاريكم

ومن الأمثلة التى يسوقها المحدثون على رفق رسول الله ﷺ وحسن عشرته ما جاء فى الصحيح أنه كان للرسول الكريم حاد حسن الصوت يقال له (أنجشة) وكان يسوق إبلا عليها نسوة رسول الله ﷺ وهو يحدو وينشد شيئاً من القريض والرجز وما فيه تشبيب، فقال عليه الصلاة والسلام: يا أنجشة، رويدك سوقاً بالقوارير.

فسمى النساء (قوارير) لضعف عزائمهن، تشبيهاً بقارورة الزجاج، لضعفها وسرعة انكسارها. والمعنى: أنه عليه الصلاة والسلام لم يأمن أن يفتنهن ويقع فى قلوبهن حداؤه، فأمر بالكف عن ذلك.

وقد اختلف العلماء فى حكم الغناء ما بين محل ومحرم. وخلاصة القول فى هذا المجال أن الغناء بمعنى الصوت الحسن لرجل أو امرأة من المباحات فى الأصل، ومن اللهو البرئ، وبحيث يظل فى حدود القدر المعقول، ولكن الحرمة تكمن فى فحش القول أو إثارة الغرائز أو إظهار المفاتن أو مصاحبة خمر ومجون.. أو إسراف بحيث يتخذه ديدنه ويقصر عليه أكثر أوقاته.

ويسوق الإمام الغزالى فى إحيائه تشبيهاً على إباحة القليل من الغناء دون الكثير، فيقول: (واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال(١) على الخد، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته، فما أقبح ذلك، فيعود الحسن قبحاً بسبب الكثرة، فما كل حسن يحسن كثيرة، ولا كل مباح يباح كثيرة).

هذا، وليكن معلوماً أن واقع الغناء المعاصر قائم على الدنس والابتذال، وهو معول هدم للقيم، وتفتيت لبناء المجتمع بوسائل الرقص الفاضح، والغناء الماجن، والصور العارية، والتمثيل المحموم.. وهذا ما لا يمكن أن يقره العقل الراشد، فضلا عن الدين الخالد.



(١) الخال: هو النقطة السوداء على صفحة الخد.

الفهرس



مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت : ٠١٠١٤٣١١١٤ - ٣٦٨٤٦٠٤

هذا الكتاب

كتب المؤلف دراسات عن فلسفة السيرة في عرض موضوعي يستنهض الهمم إلى علياء الخلق العظيم لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم..

ونقدم اليوم للقارئ الكريم دراسة حول « الرسول في رمضان ».

وهي تتناول ستة مباحث هي :

- الرسول والأهلة
- الرسول والصيام
- الرسول والعبادة في رمضان
- الرسول وليلة القدر
- مع القرآن في شهر القرآن
- الرسول والأعياد

وبهذا نضع أمام القارئ الكريم صورة صادقة وأمينة لحياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الشهر المفضل، عسى أن نحقق بها حسن الاقتداء وواجب الطاعة وصادق الحب..



مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت : ٠١٠١٤٣١١١٤ - ٣٦٨٤٦٠٤